
مجلة البيان – العدد 67 ، ربيع الأول 1414هـ / سبتمبر 1993م

كلمة صغيرة

تجربة مرة طويلة - هي تجربة الاستـبـداد فـي عـالـمـنا العربي منذ صرخة الكواكبي في نهايات العشرينات من هذا القرن.. إنها نتاج غاية من نـبـاتـات الـســوء.. المحلـيـة منها والوافدة. هل نذكر منها »النخب المخترقة« ، وأوكار الهزيمة من الأحزاب الجاهلية أم يكفي أن نصف الأرض الخصبة الصالحة لاستنبات هذا النوع من السلوك. نعم إن الأرض الـتـي تـغـــذو الاستبداد وتحتضن جذوره ليست سوى الشعوب التي نخرتها الغفلة وعض عليها الجـهــل بأنياب حداد فلم تعد تفرق بين العدو والصديق ، ولا تملك الإرادة التي تمنحها الحركة وتجذّر فيها كره الزنازبن المعتمة حيث لا رأي ولا رؤية ؛ فما تلبث أن تظلها أفرع التسلط وتضللها ويدركها - من بعد - سوط التجويع فيشغلها اللهاث وراء لقمة العيش عن كل جليل من العمل والأمل!
إن أمة كـهـذه لن تنهض من عثارها إلا بجهود »أولي بقية« يصابرون الجسد الذي استوطنته الأوبئة ، ويحـرثون الأرض من جديد كي يضعوا بذرة الشجرة الطيبة ويرعوها مدركين أن زمن الثمر قد لا ينعم به إلا أحفاد الأحفاد وبعض ذلك جهد يثقل الجبال غير أنه الإنسان الذي حمل الأمانة بعد أن عجزت عنها السماوات والأرض.. والجبال أيضاً !

الافتتاحية

المواقع والرجال!

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.
لا شك أن الممارسة الكتابية لا سيما الفـكـريـــة الدعوية منها من أشق أنواع التفكير المقروء وأصعبها وبخاصة مع الظروف التي تحيط بأمتنا الإسلامية اليوم.
إننا نجد هنا معادلة صعبة تقتضي معالجة الأخـطاء على الساحة الدعوية الإسلامية وسط أجواء موبوءة تضخم من أخطاء التيار الإسلامي وتحـــاول محاصـرته بكل الوسائل المتاحة بغض النظر عن شرعيتها وزيفها... وهنا يجد الكاتب الـمـفـكر نفسه أمام حقل من الألغام يصعب عليه اختراقه إلا بمهارة فائقة وحسابات دقيقة... مجلة البـيـــان خـلال أعدادها الستة والستين الماضية كانت تعيش هذه الأجواء وتتنفس في هذا المحيط وتخـــوض حقل الألغام هذا لتحافظ على رسالتها واستقلاليتها ومنهجها الذي اختطته لنفسها... وفي هذه المناسبة لابد من القول إن المجلة في طريقها قد واجهت مواقف صعبة

ومـحـطــات شاقة خرجت منها في النهاية والحمد لله وقد حافظت على الأقل على استقلاليتها وطــرحـهـا الـفـكـــري الـدعـــوي المطالب بسلوك منهج خير القرون ، في وقت يصعب فيه الاحتفاظ بالاستقلالية ومواجهة تحديات الإبقاء على منهجية واضحة.

إن قطاعاً عريضاً مـن قـــراء البيان قد يرى أن الاستقلالية مرتبطة طردياً مع طرح القضايا السياسية والواقعية التي تمــس هذا الطوفان المزمجر من الأحداث والنكسات التي عاشت المجلة وعاصرت الجزء الأخـيـر مـنـهــا، وفـي هــذا بعض الحق لأن القضايا السياسية ومعالجتها تشكل أعراض المرض الصارخة لا سيما فـي هـــذه الحقبة الأخيرة من القرن العشرين حيث أصبحت القوة السياسية المتمثلة بالدولة القطرية تتدخل لترسم لأفرادها خطوط حياتهم التفصيلية ، ومع هذا فإن الإفراز السياسي القائم هو محصلة لشبكة معقدة من التطورات العقدية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية...

لقد حاولت "البيان" طوال الفترة المنصرمة أن تعالج واقعنا المعاصر من خلال تسليط الأضواء على الانحرافات العقدية والفكرية والاجتماعية والسياسية والـتـعـامــــل معها كوحدات الأواني المطرقة التي يتأثر بعضها ببعض سلباً وإيجاباً... وهذا هو جانب واحـــــد مـــن الإشكالية وطرف مهم من المعادلة التي نحاول أن نجد لها الحل... ، أما الجانب الآخر فهو وصف الدواء لهذا الداء الذي يتمثل في منهج الإسلام الذي تلقاه الرسول الكريم محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- ونشره صحابته واقتدى به التابعون والذي عُرف وقت افتراق الأمة بمنهج أهل السنة والجماعة المنقول عن سلفنا الصالح..

لقد حاولت المجلة أن ترسم واقع المسلمين وتعالجه من خلال ذلك المنهج في جميع مناحي الحياة ومشكلاتها ، وأصرت حينما طرحت هذا المنهج على أمر هام : الاستقلالية. هذا المكسب (في وقفة الجرد هذه) لم يكن إلا نتيجة جهد رجال عملوا بصمت وإنكار للذات في سبيل الوصول إليه ، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ محمد العبدة رئيس التحرير السابق لهذه المجلة في رحلتها التي أشرنا إليها آنفاً... الذي بذل جهداً متميزاً للمحافظة على مستوى هذه المجلة الرفيع وما ادخر وسعاً في تطويرها والرقي بمستواها والتنويع بمادتها منذ أن تولى مسؤوليتها وإن كان الأستاذ محمد قد آثر الانتقال إلى موقع آخر فإن هذا لا يعني أن قراء البيان ومحبيها سوف يفتقدونه... ، ذلك أن الأستاذ العبدة سيستمر في تقديم عطائه الـدعــــوى والفكري وسيكون أكثر تفرغاً لدراسة المشكلات التي تؤرق كل من يحمل هم الإسلام ويشتغل به...

إن الـمـجـلة وهى تجتاز هذه المرحلة الجديدة تتمنى أن تكون قد كرست العمل الدعوي المؤسس الذي ينهي النمط »الفردي« الذي ساد في فترات معينة من حياة الدعوة الإسلامية المعاصرة ، والذي نبه الأستاذ العبدة في أكثر

من مقال على خطورته وذلك حينما تنحصر الدعوة الإسلامية في قالب أشخاص تموت إذا ماتوا.. وتحيا إذا دب فيهم النشاط والهمة.
والله نسأل للجميع التوفيق والسداد.
التحرير

في إشراقة آية

فؤاد حجازي الهجرس

قال تعالى :
((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ ولا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ ولا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ولا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ ومَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ))

يمدنا القرآن الكريم بدعائم الأخلاق وكرائم الخصال والعادات ، حتى تقوم حياة مجتمع المسلمين على قدر وافر من التقدير والإعزاز والإكرام.

وللقرآن مقاصد ثلاثة:تصحيح عقيدة، وتصحيح عبادة، وإقامة أخلاق.. والأخلاق الحسنة لها أثر جليل في تأسيس المودة والحب بين الناس.. قال الشاعر:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

في هذه الآية الكريمة نهى الله عن أخلاق ذميمة ثلاثة :

1 - نهى عن السخرية.. وهي الاستهزاء بالآخرين أو التقليل من شأنهم وتحقيرهم ، وهذا يخالف الآداب الإسلامية.. قال أحد العارفين : »لو سخرت من رضيع لخشيت أن يجوز بي فعله« . خشى جواز فعله به - أي مروره عليه - مع أنه ضعيف لا حول له وإنما هو حِسُّ المؤمن.

2 - ونهى عن اللمز.. وهو الغمز بالوجه مثلاً أو تحريك الشفاه بما لا يفهم ، وقد قال -صلى الله عليه وسلم- : »أعوذ بك رب من همز الشيطان ولمزه«. تعلمها من قول الله تعالى:
((وقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ)).
وندرك نحن أن من يفعل هذا يصبح شبيه الشيطان.. أو يكونه.

3 - ونـهـى عــن التنابز بالألقاب : - وهو مناداة الرجل بما يكره من الأسماء ، جاء في كتاب لسان العرب أن من المسلمين من كان ينادي اليهودي بعد إسلامه : »يا يهودي« فنزلت الآية تدفع عنهم ولذا قال تعالى : ((بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ)) وهو نَهْيٌ عام في كل لقب يكره المسلم أن ينادى به.

إن الكلمة إذا سَرَتْ سخريةً فإنها تفرق الوحدة وتمزق الألفة.. وهل للشيطان تأثير إلا من خلالها وصدق الله :((وقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ)).

هي الكلمة.. فـقــط نحبسها داخل الجنان لا تخرج إلا مصفاةً منقاة. وهو اللسان.. فقط يُحبس ويُطوي داخل الفم.. لا ينطق إلا بخير.. أو في الصمت

نجاة. قال معاذ بن جبل -رضى الله عنه-: (يا رسول الله.. أنحن محاسبون على الكلمة نقولها؟..) فقال -صلى الله عليه وسلم- : (ثكلتك أمك يا معاذ.. وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال - على مناخرهم.. إلا حصائد ألسنتهم).

وقرأت أن قُسَّ بن ساعدة الإيادي - خطيب العرب - اجتمع ذات يوم هو وأكثم بن صيفي حكيم العرب ، فقال أحدهما للآخر : كم وجدت في ابن آدم من عيوب؟.. قال : هي أكثر من أن تحصى ، وقد وجدت خصلة إذا استعملها سترت عيوبه.. وهي حفظ اللسان.

ولله در الشاعر حين قال :

احفظ لسانك لاتقول فتبتلى   إن البلاء موكل بالمنطق

تضمنت الآية نهيا عن ثلاث : السخرية واللمز والتنابز ، وهن ثلاث تؤرق أمن الجماعة المؤمنة نفسياً، واعتبر الإسلام أن من يعملها إنما يسئ إلى نفسه، ويوجه السهم إلى نحره:((ولا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ)) كأن الآية تقول: لا تسخر من غيرك فلربما كان في ميزان الله أفضل منك ، إن لله موازين يزن بها أقدار الناس وعلى أساسها يتحدد المصير.. إنْ في الجنة وإنْ في النار.

وكأنها تقول كذلك : لا تلمز غيرك فهو أخوك في الإنسانية والدين ، والأخوة بينكما لحمة البناء، فإن فعلت فنفسك تصيب وعيبك تفضح. وكأنها تقول أيضاً: لا تُنَابِزْ بالألقاب فتؤذي شعور مَنْ تنابزه وتشدخ كبرياءه ، وتفصم آصرة الود بينك وبينه.

واعلم أن هذا الجرم قد شبهه المفسرون بالردة من بعد إيمان :((بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ)). ومن وقع منه ذلك ولم يتب فإنما يظلم نفسه ، ويوبقها بأغلال تهوي به إلى الجحيم :((ومَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ))

ومن الآية نستنبط هذه الإشارات:

أولها: لا يليق بمجتمع رباه الإسلام ، أن تسود فيه موبقات..السخرية، واللمز والتنابز، ففيه مخالفة للمهمة التي من أجلها بعث -صلى الله عليه وسلم- حيث قال : »إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق«

وحيث قال : »أثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق«.

وثانيها:أن هذه الصفات المسيئة تضع موازين للناس غير موازين الله تعالى حيث قال: ((إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) فهي لا تنتقص الرجل إلا من فقر أو ضعف أو سذاجة وما إلى ذلك وهي لا تنتقص المرأة إلا بسبب دمامة أو قِصَر أو تشوُّهٍ وما إلى ذلك. إن ميزان الله أساسه التقوى وهو أبقى وأعدل : (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) ثم... أيمكن أن يكرم الله ابن آدم على خلقه ويسخر له البر والبحر والجو، ونُهَوِّنُ نحن من شأنه بشىء من ذلك..((ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

وحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ والْبَحْرِ ورَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً))
إن آثار الأمر كما يبدو أبعدُ من أن تكون كلمة تقال تسخر أو تلمز.. لأن الله نهى عن ذلك نهياً أكيداً حفاظاً على قيمة التقوى التي هي ميزان الله لأقدار الناس.
ولقد تضافرت آيات كثيرة على كف الناس عن هذه الصفات قال تعالى :((وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ)) واقرأ السورة إلى آخرها وتصور العقاب :((كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ * ومَا أَدْرَاكَ مَا الحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ المُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ)) أي تأكل الجلد فاللحم فالعظم حتى تصل إلى عضلة القلب نعوذ بالله من ذلك الهول:((إنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ)). وقال تعالى في سورة القلم يصف الوليد بن المغيرة.. ضمن أوصاف أخـــــــرى:((هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ)) .
وقال جل شأنه :((قُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ)) .
يقول الإمام ابن كثير : »ولا تلمزوا أنفسكم« تساوي : »ولا تقتلوا أنفسكم« في سورة النساء.
قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت أكـبـر مـني سناً قلت سبقني بالإسلام والعمل الصالح فهو أفضل مني.. وإذا رأيت أصغر مني ســناً قلت سبقته بالذنوب وارتكاب المعاصي فهو أفضل مني.. وإذا رأيت إخواني يكرمونني قلت: نعمة تفضلوا بها عليّ.. وإذا رأيتهم يقصرون في حقي قلت : من ذنب أصبته.

2- مراحل دعوة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -

الحلقة الثانية

محمد الخضري

ذكر القرآن الكريم لدعوة إبراهيم عليه السلام ثلاث مراحل ، نوجزها فيما يلي:

المرحلة الأولى :

دعوته لأبيه ، وقد صورتها أبـلـغ تـصـويـر آيـــات سـورة مريم حيث يقول الله جل وعلا ((واذْكُرْ فِي الكِتَابِ إبْرَاهِيمَ إنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً (41) إذْ قَـــالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً (42) يَا أَبَتِ إنِّي قَدْ جَـاءَنِـــي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياً (43) يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إنَّ الشَّيْطَـانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِياً (44) يَا أَبَتِ إنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ ولِـيـــاً (45) قَـالَ أَرَاغِـــبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ واهْجُرْنِي مَلِياً (46) قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ

سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِياً (47) وأَعْتَزِلُكُمْ ومَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِياً))[مريم41 / 48].
لقد كانت كلمات إبراهيم تفيض حناناً وشفقة وتتدفق عطفاً ورقة ، فبيّن لأبيه أن ما يعبده فاقد لأوصاف الربوبية من السمع والبصر فضلاً عن الخلق فكيف يضر أو ينفع ثم أردف ذلك بـبـيـان ما قد أوتيه من علم وحكمة وأن دعوته فد بنيت عليهما ففى اتباعه سلوك الصراط السوي ، ثم حذره من عدو البشرية الذي تلبس بمعصية الرحمن فهو جدير بأن يتخذ عدواً وأن لا يطاع بل يعصى ، ثم أعلمه بشدة خوفه عليه من أن يمسه مجرد مس عذاب من الرحمن فيكون ولياً للشيطان ، وأمام هذه الدعوة الحانية الرفيقة المتزنة نسمع عبارات الأب الفـجـــة الغليظة التي تمثل صورة التقليد الأعمى وإغلاق القلب عن النظر والتأمل ، ومع ذلك كله فإن الابن البار لم يواجه تلك السيئة إلا بالتي هي أحسن (سلام عليك) كحال عباد الرحمن الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا: (سلاماً) بل وعد بالاستغفار لأبيه ، وذلك قبل أن يتبين له أنه عدو لله ((فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ)) ثم قرر اعتزاله ليراجع الأب نفسه، ولينأى إبراهيم بنفسه عن الشر ومواطنه، وكانت رحمة الله لإبراهيم أن عوضه بأبناء صالحين بررة عن أولئك القوم الفجرة.

المرحلة الثانية :

دعوته لقومه. بعد أن دعا إبراهيم أباه لقربه توجه بالدعوة إلـى قومه ، وكانوا فيما قبل قسمان ، منهم من يعبد الأصنام ، ومنهم من يعبد الكواكب ، وقيل : إنهم كانوا يعبدون الكواكب ويصورون أصناماً على صورها يعبدونها ويعكفون عليها ، وعلى أي ، فقد أبطل كلا المعبودين بالأدلة القطعية وبين وهاء ما هم عليه من العـبـــادة ، وبدأهم بالدعوة إلى توحيد الله بالعبادة وتقواه وبين لهم أن ما يعبدون ما هو إلا إفك مفترى ، وأنها لا تملك لهم رزقاً فليعبدوا من يملك رزقهم ، ثم أخبرهم بأنه مبلغ لا يستطيع هدايتهم إلا بإذن الله ، ولفت أنظارهم إلى أن مصيرهم إن لم يستجيبوا للدعوة مصير أمثالهم فقد سبقهم على ذلك أمم ولحقهم من ربهم من النكال والعذاب ما لا يخفي عليهم ، قال تعالى ((وإبْرَاهِيمَ إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ واتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وتَخْلُقُونَ إفْكاً إنَّ الَذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ واعْبُدُوهُ واشْكُرُوا لَهُ إلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وإن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ومَا عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ البَلاغُ المُبِينُ))[العنكبوت:16-18] .
- ولقد سلك إبراهيم في إقناع قومه مسلك المساءلة عن جدوى أصنامهم ، هل تنفع أو تضر أو تسمع الدعاء ، فما وجد إلا التبعية العمياء ((واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إبْرَاهِيمَ * إذْ قَالَ لأَبِيهِ وقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ)) فما كان من إبراهيم إلا أن أعلن البراءة مما هم عليه،

وأوضح سبب ذلك وسبب قصره العبادة على الله ((قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ * الَذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * والَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي ويَسْقِينِ * وإذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ... الآيات)) [الشعراء:69 -80].

- وبدأ القوم يراوغون فيما عـرضـــه عليهم إبراهيم إلا أنه ما كان من إبراهيم إلا إعلان النكير ، وبيان الحق فعلاً لا قولاً فحسب ودخل بهذا مرحلة خطرة من مراحل إقناع القوم بعدم جدوى أصنامهم وفي هذا يقول الله تعالى ((ولَقَدْ آتَيْنَا إبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إذْ قَالَ لأَبِيهِ وقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَـــوَاتِ والأَرْضِ الَـــذِي فَــطَـــرَهُنَّ وأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ))[للأنبياء:51-56] ولم يكتف القوم بهذه المراوغة مع إبراهيم بل دعوه للخروج معهم إلي عيد من أعيادهم ولكنه اعتذر عن الخروج بتورية ((فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ))[الصافات: 88-90] وقــال عــنــد ذلـك ((وتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)) فسمعها بعض القوم ، وبادر إبراهيم ((فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إلاَّ كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَــلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إن كَانُوا يَنطِقُونَ * فَرَجَعُوا إلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ)) لقد ورطهم إبراهيم في هذه الإجابة وهذا ما كان يريده لـيـنـدفع بكل قوة مخاطبا عقولهم إن كانت لهم عقول :((قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً ولا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ ولِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ)) وهنا لم يجد القوم بدا من تدبير المؤامرة عليه والتخلص منه ((قَالُوا حَرِّقُوهُ وانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وسَلاماً عَلَى إبْرَاهِيمَ * وأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ)) [الأنبياء:51-70].

أما عبادتهم للكواكب فقد سلك في دحض تعلقهم بها سبيل المناظرة وذلـك فـيمـا حكاه الله عنهم في سورة الأنعام ، وسيأتي إن شاء الله تفصيل ذلك في رسائل إبراهيم العملية.

المرحلة الثالثة :

دعوته للملك، حين ناظره في ربه وذلك فيما حكاه الله تعالى عنهم في سورة البقرة فقال: ((أَلَمْ تَرَ إلَى الَذِي حَاجَّ إبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ المُلْكَ إذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ:...)) وتفصيل ما وقع فيها آت بإذن الله في الوسائل ، وهذه المناظرة كانت فيما يظهر بعد نجاة الخليل من النار كما ذكره السدي ويدل عليه: أن الـعـادة جارية بأن الأنبياء يبدأون بتكوين قـاعــدة شعبية حتى يكون

للدعوة ثقل ثم يلتفـتون إلى القيادة ليدعوها ، وأيضاً ، فمن عادة خصوم الدعوة ملاحقة الداعية وإحراجه ليفـضح أمام الناس خصوصاً وأن إبراهيم بعد نجاته من الـنــار بمعـجـــزة التفتت إليه الأنـظــار وتعجب الناس من ربه الذي نجاه فبادر الملك إلى مناظرته ليوقعه في الحرج ظنا منه أن إبراهيم قد ينهزم في المناظرة ، وما علم أنه المؤيد من عند الله وهو سيد المناظرين ، ومنظرهم الأكبر ، والمجادل عن حوزة التوحيد وحمى الملة بكل ألوان الجدل.
- ولا نستطيع الجزم بأن هـذه الـمـنـاظرة كانت بعد النجاة لكنه الذي يظهر من خلال ما تقدم من الأدلة والله أعلم.

خواطر في الدعوة

درس من السيرة

محمد العبدة

لابـد أن نـعـــود دائمـاً للسيرة النبوية، نستلهم منها ما يفيدنا في سيرنا الدعوي، ونـعـود لبدايات تشكل القاعـــدة الـصـلـبـة الـتـي كـانـت قلب الوحى الذي يدور حوله المجتمع الإسلامي. كانت هذه القاعدة في مراحلها الأولى مـن الـطـبـقـة الـتـي سمـيـت فـيـمـا بـعـد بالمهـاجرين ، وجلّ هؤلاء من قريش ، التي كانت تتمتع بصفات نادرة ، تفوقت بها على القبائل العربية ، القريبة والبعيدة.
قال الـقـدماء : والعجيب أن قريشاً تركت الغزو والنهب على طريقة العرب يومها ، ولكن بقيت فـيهـم الشجاعة والأنفة ، وقوة البأس. ومع انشغالهم بالتجارة والرحلات التجارية إلا انه لم يـعـتـرهـم ما يعتري التجار عادة من البخل والمداهنة والمماحكة ، بل كان الفرد منهم يطعم الطعام لزوار البيت ، وتمدحهم الشعراء كأنهم ملوك.
إن بنية الفرد فـي هــذه القاعدة بنية قوية ، فكيف إذا أكرمه الله سبحانه وتعالى بالإيمان والتوحيد الخالص ، فلا شك أنه سينقلب إلى شخصية تقيم الدول ، وتحرك التاريخ. ولقد وصف الله سبحانه وتـعــالى هـذا الدين بأنه (الفطرة) ومعنى هذا أن الفطرة السليمة تقبله، وتـقـبـل تفصيلاته الجزئية.
أما إذا كانت الفطرة فاسدة ، والبنية الأساسية مفقودة فكيف يقوى على حمل هذا النور ، ويتمثله واقعاً وعملاً من يحمل بين جنباته الضعف والضآلة ، ويحمل مفاسد المدنية المعاصرة ، وتناقضات المجتمع الذي يعيش فيه.
هل يـقـــوى على حمل هذه الأمانة من تعوّد على الكذب؟ أو رجل أناني إقليمي أو رجل ليس عنده وفاء وشجاعة. وهنا نجد أن شخصية الفرد شخصية هشة لا تستطيع بناء الدول ولا إقامة بـنـيـان مرصوص. حتى وإن قرأ الكتب وحفظها وصار مناقشاً ومجادلاً ، والأصل أن فهم العقيدة السـلـيـمـة وتطبيقها على أرض الواقع يؤدي إلى هذه الأخلاق العالية التي لابد منها لحمل الرسالة،

فاذا لم نجد مثل هذه الشخصية فهذا يعنى خللاً في فهم العقيدة أو في التطبيق.
إن الظروف العصيبة التي يعيشها المسلمون لهى في العمق من المرارة والقسوة بحيث تحملهم على أن يفكروا في أمرهم ، ويـزدادوا بصـيرة بأحوالهم ، وقد ضرب الله لنا الأمثال ببني إسرائيل وأخلاقهم الـمـلـتـويـة ، ونفسياتهم المحطمة حتى لا نقع فيما وقعوا فيه ، هذه الأخلاق التي جعلت سيدنا موسى-عليه السلام- يعاني منهم ما يعاني وهو يريد إنقاذهم، وجاءت خاتمة الرسالات وكان حواريو رسول الله -صلى الله عليه وسـلـم- من المهاجرين والأنصار ، فكانوا خير أصحاب لفهم الدعوة وتبليغها والدفاع عنها.

الإسلاميون وقضايا التنمية

د / أحمد بن محمد العيسى

يثير كثير من العلمانيين شبهـات عديدة ويدَّعون أن الحركة الإسلامية إنما هي عائق لمسار التنمية والتقدم في المجتمـعــات الإسلامية ، وذلك لأن خطابها »الأيديلوجي« يهتم بتعاليم وقيم لا تتمشى مع متطلبات التنمـيـة الحـديـثــة مثل الانفتاح الاقتصادي والتعاون الدولي والحرية الفكرية والتعليم الذي لا يركز على الغـيـبـيات والحفظ.. إلى آخر القائمة المعروفة التي يتداولها كثير من المفكرين والمثقفين العرب في كتبهم أو في منتدياتهم الفكرية والثقافية ومــــا يسودونه على صفحات الفكر والثقافة في الصـحـف العربية. وعلى الرغم من أننا قد تجاوزنا الطرح العلماني الذي كان سائدا قبل عقدين أو ثـلاثـة والذي يعزو هذا العائق إلى الإسلام ذاته لأن اعتبار الشريعة الإسلامية هي المصدر لقضايا الـتـنـمـيـة ، وهي قـضـايـا سياسية واقتصادية واجتماعية لا يتناسب بزعمهم جمع واقع العصر وتعقيداته أقول على الـرغـــم من الفكر الإسلامي قد تجاوز هذا الطرح إلا أننا لازلنا مترددين - أو على الأقل مقصرين - أمام كثير من الشبهات التي يطرحها كثير من العلمانيين اليوم والتي تركز على أن الحـركـــات الإسلامية - وليس الإسلام - هي العائق أمام »التحديث والتنمية في بلاد المسلمين« مـنــذ أكثر من 1300 عام ، يقول برهات غليون في كتابه »اغتيال العقل« : » ولعل سبب هذا الانحطاط في مفهوم التقدم العري راجع هو نفسه إلى الأزمة التي يعيشها مشروع هذا التقدم كما تبلور في القرن الماضي ، أي كبناء لمجتمع عربي موحد ديمقراطي عقلاني عادل. ونتج عن هذه الأزمة نوعان من مواقف الهروب إلى الأمام ، أحدهما يقول بالتغريب الكامل بمثالبه وحسناته ، والثـاني يقول بالانسحاب الكامل و »الأسلمة« أو العودة الكاملة للأصول « (ص207) ثم يـصــل إلى نتيجة يعتبرها عقلانية ومنطقية في آخر كتابه ، حيث يقول : »وعندما نقول أنه لا يوجد حل واحد لجميع المشكلات ، فنحن نعني أن المشكلات المطروحة اليوم

على العالم العربي لا يمكن حلها جميعاً من أفق أيديلوجي واحد ، أو من أفق أيديلوجي بشكل عام. هذا غـيــــر منطقي وغير ممكن وغير واقعي ، فليس هناك حل لمشكلة التنمية الاقتصادية ، الصناعـيـــــة أو الـزراعـيــــة من أفق الأيديلوجية السلفية أو الأصولية ، كما أنه ليس هناك حل للمشكلة القانونية والتشريعية من أفق أيديلوجية تنكر الإسلام أو تتنكر له..« (ص 364). وهذا الطرح الذي نتحدث عنه يجد الآن اصداء كبيرة عند كثير من المثقفين ، وقد بدأ هذه الموجة المفكر المغربي محمد عابد الجابري في كتابه »الخطاب العربي المعاصر« (1982م) والذى اتبعه بعدد من الكتب تدور في فلك أفكاره الذي أثبتها في الكتاب المذكور. وقد تركز فكره في نقد الفكر التغريبي الكامل وفي نفس الوقت نقد الفكر الإسلامي الذي يعتمد على منهج أهل السنة والجماعة في التلقي والاتباع. وهو بهذا يؤسس فكرا جديدا يراه أصحابه وتلاميذه أنه فكر »عقلانـــي« موضوعي يستند إلى منهجية معرفية صارمة ، مع أنه من الأساس فكر »تغريبي« يسـتـقـــي أدواته المعرفية والمنهجية من نظريات المعرفة »الابستمولوجيا« الغربية التي لا تعترف بالعقائد الدينية ولا بالغيب والإيمان وثوابت العقيدة الإسلامية.

إن الخطاب الإسلامي الذي يدعوا إلى التوحيد والإيمان وإلـي تطبيق الشريعة الإسلامية لا يدعو إلى طرح (ما ضوي) - كما يقولون - ولا يريد أن يـعــود العرب والمسلمون إلى ركوب النياق والحمير والبغال (كما يعبر أحمد عبد المعطي حجازي - الأهرام 15 إبريل 92). بل هم يدعون إلى طرح مستقبلي واضح يرتكز على عقيدة سماوية وشريعة ربانية أنزلها الذي يعلم ما كان ويكون وما سوف يكون ، ((أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهُـــــوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ)). وهى ليست من مخلفات الماضي مثل شريعة حمورابي أو قوانين الرومـــان ، بحيث نقول إنها خضعت لتصورات الإنسان الذي عاش في تلك الفترة وفي تلك البـيـئـــة وفي تلك الظروف المحيطة ، إن الشريعة التي ندعو إليها هي شريعة متكاملة تربط العقـيــــدة والعبادات والأحكام والحدود والأخلاق والآداب وجميع شؤون الحياة في بوتقة واحـــدة لا تنفصل وتربطها بعبادة الخالق سبحانه وتعالى ((!قُلْ إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ)) .

إن هذا الذي نقوله الآن هو من البديهيات التي لم تكن مطروحة على العـقـــل المسلم قبل عقود من الزمن ولم يحتاج المسلم إلى تعمق في دراسة العلم الشرعي أو في قراءة كتب الفكر والثقافة ، لكى يفهم هذه البديهيات ، ولكننا في هذا الزمان - والله المستعان - أصبحنا نجادل أهل الفكر والثقافة - أنفسهم - في أساسيات الدين والعقيدة التي لا تستقيم حياة المسلم بدونها.

ولكن إذا سلمنا بهذه البديهية وابتعدنا قليلا عن »ردود الأفعال« لما يثيره بعض العلمانيين ، وتساءلنا : هل الفكر الإسلامي الذى يطرح في الساحة الآن قد اهتم اهتماماً جدياً بقضايا التنمية في العالم الإسلامي؟

أحسب أن الجواب سيكون بالنفي.. ذلك أن الفكر الإسلامي ، وجهود الدعوة عموماً لا تزال مشغولة بقضية كبرى (وحق لها أن تشغل بها) ألا وهي تراكمات موجات التغريب خلال قرن من الزمن أو يزيد ، وكادت هذه الموجات أن تقتلع الأمة من جذورها وتجعلها جزء تابع للغرب أو الشرق. إن الاهتمام بقضية الهوية هو من الأولويات ولا شك ويجب أن يتفرغ لها القادرون على التأصيل لها والإبداع في طرحها، ولـكـن يـنـبـغـي عـلـى المفكرين والأكاديميين الإسلاميين الاهتمام بقضايا حيوية تعصف بالمجتمعات الإسلامية ومن أهمها قضايا التنمية التي غربت بها الأفكار الدخيلة أو شرقت بها ، فأصبحت التنمية في بلاد المسلمين اضحوكة يتندر بها صحفيو الغرب ومنظروهم.
إن الحاجة اليوم ماسة لدراسة أكثر من قضية تنموية ، دراسة عميقة مدعمة بـالـوثـائق والإحصاءات ومبنية على أسس منهجية علمية واضحة لا مجال فيها للعاطفة المفرطة في التشاؤم أو التفاؤل أو في استباق النتائج. والمطلوب ليس فقط تنظيراً إسلامياً لهذه القضايا وإنما دراسات واقعية وتطبيقية تهتم بمحاولة وضع تصورات وحلول للمشاكل القائـمــة حالياً. إن لدينا الآن فرصة تاريخية لإبراز الفكر الإسلامي الصحيح الذي يلتمس حلولاً جذرية من منظور إسلامي للمشكلات التنموية التي تعانيها المجتمعات الإسلامية ، ولعلي أشير هنا إلى بعض الأمثلة للقضايا الحيوية التي يجب أن نهتم بدراستها ، وهذه الأمثلة تمثل قضايا كبرى تحتاج إلى أن تجزأ إلى قضايا صغيرة تجعل من السهل دراستها ، ومن هذه القضايا.
1 - قضايا التعليم : ويدخل فيها قضايا غياب الرؤية الإسلامية للعملية التربوية ، ضعف الناتج التعليمي، وانفصال واقع التعليم وأهدافه عن حاجات المجتمع، قضايا إعداد المعلم والمربى وفق منهج الكتاب والسنة ، إيجاد الحلول لمشكلة الأمية ، وغير ذلك من القضايا.
2 - قضايا الاقتصاد : ومنها قضايا أولويات النظام الاقتصادي في الإســـلام وقضايا النمو الاقتصادي والهدر العام والتبذير والاستهلاك ، ومنها وقضايا الديون والـعـجــــــوزات ، وقضايا النفط والتصنيع والتجارة الدولية والاتفاقات الاقتصادية وغيرها.
3 - قضايا التنمية الاجتماعية : ومنها قضايا النمو السكانى ، والبيئة وبرامج التثقيف والتوعية ، وقضايا الإعلام وقضايا العنف والتفكك الأسري والجنوح وغيرها.
4 - قضايا التقنية والتقدم العلمي : ومنها قضايا التخلف التقني ، وقضايا نقل التقنية أو استنباتها ، وربطها بالنظام العقائدي والأخلاقي للأمة.
كل هذه القضايا (وغيرها كثير) بحاجة إلى دراسات عميقة من قبل المفكرين الإسلامـيـيـن توازي الجهود التي يبذلها القائمون على بعض المؤسسات العلمانية في العالم العربي التي تـعـقـــــد المؤتمرات والندوات وتنشر الكتب والمقالات عن هذه القضايا حتى غدت مفاهيم النهضة والتنمية ترتبط غالباً

بمفاهيم علمانية مثل مفاهيم (حق الأمة في التشريع) في قضايا السياسة وغيرها ، ومفاهيم إبعاد الدين والغيبيات عن عقول الناشئة في قضايا التعليم ، ومثل تقديم مفاهيم المصالح المتبادلة وقوى السوق في قضايا الاقتصاد ، ومثل مفاهيم تحرير المرأة ومشاركتها في جميع مجالات العمل ، ومفاهيم تحديد النسل في القضايا الاجتماعية، وهناك قائمة طويلة من المنطلقات العلمانية التي تتناول قضايا التنمية لا يمكن تقصيها في هذا المقال.
وقد سبب غياب الفكر الإسلامي الصحيح عن قضايا التنمية ، احتلال أصحاب الفكر التغريبي لمواقع عالية في المؤسسات الحكومية والدولية في شتى أقطار العالم الإسلامي ، بل لقد أوهم كثير من العلمانيين وهم يكتبون ويتحدثون عن هذه القضايا، أوهموا أصحاب القرار السياسي والاقتصادي في البلاد الإسلامية بأنهم هم الذين يفهمون لغة الأرقام ولغة النتائج الإحصائية ولغة التخاطب في المؤتمرات الدولية والمحلية ، أما أهل العلم والدعوة وأصحاب الفكر الإسلامي فإنهم لا يعرفون إلا لغة الشعارات والخيالات والقضايا الهامشية!!
فهل من وقفة جادة من أصحاب الفكر الإسلامي مع هذه القضايا.. وصدق الله العظيم إذ يقول :((أَفَمَن يَمْشِي مُكِباً عَلَى وجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِياً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)).

التواضع
سمة .. قيادة .. أيضاً

سامي سلمان

التواضع سمة وخلق رفيع من تحلى به ساد نفسه ومن ساد نفسه ساد الناس(1).
وقد تبدو العلاقة بين التواضع وسياسة النفس وسيادة الناس غير واضحة ولكنها تتضح عندما ندرك معنى التواضع الحقيقي ، سئِلَ الفضيل بن عياض عن التواضع فقال :
»يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله«.
فإذا كان هذا هو حال المتواضع فهو قد ساد نفسه بلا شك وإذا أحببنا أن نبحث عن طرف المعادلة الأخير فلابد أن نستمع لابن عطاء وهو يقول : »العز في التواضع«.
وقد ساد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأمة وساد الناس وهو سيد ولد آدم وخير الناس ، فكيف كان حاله :
- كان إذا صافح الرجل لم ينقل يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده. (2)
- كان يوم الأحزاب ينزع التراب ولقد وارى التراب بياض بطنه. (3)
- كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم.(4)

- كان يتخلف في المسير فيزجي* الضعيف ويردف العاجز ويدعو لهم.(5)
- كان يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم. (6)
-كان يدعى إلى خبز الشعير. (7)
- كان يقول : »هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد«(8).
- كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويحتلب الشاة. (9)
- كان يقول : »أنتم أعلم بأمور دنياكم......«.
(فأي تواضع أعظم من هذا التواضع ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- قائد الدولة وإمام المسلمين والمشرع لهم عن الله والموحى إليه من ربه......).
وعليه فإنه ينبغي التنبيه إلى أن المسئولية تستوجب التواضع إذ أن التواضع الحقيقي هو التواضع لله ومن عرف الله عرف الناس وأنزلهم منازلهم.
ولقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أعرف الناس بربه فهو القائل أنا أتقاكم لله.
وإن ارتباط هذه السمة بنجاح القيادة ينتج من معاني عديدة ينبغي التنبيه لها أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :-
1- إن المتواضع لين ، سهل المعشر ، يفتح له الآخرون قلوبهم مما يسهل عليه حين يكون قائداً مسئولاً القدرة على التوجيه وتملك زمام الآخرين من خلال قلوبهم لا مــن خـــلال منصبه وجبروته وعنفوانه وهو ما يحتاجه القائد الناجح ، إذ أن الولاء الحقيقي للأفراد والمنظمات هو ما ينبع من حب الموالين واحترامهم لرؤسائهم.
2 - إن الـمـتواضع أقدر الناس على الاعتراف بأخطائه إذ يدرك أن اعترافه بوقوعه فـي الخطأ لا يسلبه احترام الآخرين له وليس هو الذي يقول ويتبجح بأنه صاحب الحق دائماً بل هو على العكس من ذلك فاعترافه بالخطأ بصراحة وأمانة وشجاعة هو تأكيد لبشريته وإتاحة المجال لإصلاح الخطأ بدلاً من الاستمرار عليه. ولا شك أن هذا هو عين ما يتميز به القائد الناجح إذ لا يُقبل نجاح قيادة تصر على الاستمرار بالخطأ.
3 - إن المتواضـــع يعطي الناس حقهم وقدرهم فلا يحتقرهم مما يساعد على إيجاد روح المشاركة وإبداء الرأي وبروز الإبداع الذي يحتاجه أي قائد ناجح إذ لا نجاح لقائد دون وجود هذه الروح بين مرؤسيه.
4 - إن المتواضع لا يعيش في عالم الغرور والتيه والكبرياء الذي يجعل القائد يحسب نفسه وكأنه صاحب صفات ومزايا لا يملكها إلا هو وحده ثم لا يلبث إلا قليلاً وتنكشف حقيقته فلا يبق له هذا النجاح المصنوع. يقول أحد العارفين : »لا يمكن للرئيس أن يـخـــدع مرؤوسيه طويلاً ولابد أن تكشفه الأيام والنوائب فإذا كان متواضعاً أمام نفسه بقى قويا أمام الآخرين وإن كان صادقاً استطاع أن يطلب الصدق من الآخرين«(10).

5 - إن المتواضع تأبى نفسه أن يكون أنانياً لأن الأنانية هي وليدة الغرور ولا يجتمع متضادان في نفس واحدة وعليه فإن القائد المتواضع هو الذي يعيش ليحقق أهداف الجماعة والمصلحة العامة بدافع الواجب والذي ينجح ليحقق هدفاً جماعياً ليس كفرد ينجح ليحقق هدفاً فردياً فالأول يكتسب بحبه للآخرين وولاءهم والآخر ينتظر الآخرون فشله بتلهف.
6- إن المتواضع أعظم من أن يجعل لحب الظهور مدخلاً إلى نفسه ، يقول أحدهم : »يعمل الرئيس المغرور بدافع حب الظهور فيجد نفسه في النهاية محاطاً ببطانة لا ترى إلا بعينيه ولا تسمع إلا بأذنيه فيفقد الفائدة التي يحملها إليه انتقاد معاونيه الصالحين الذين يرون الاشياء من زاوية مختلفة ، كما يفقد الاحتكاك مع الوسط الذي يعيش فيه ، فيصبح غير أهل للقيادة.(11)
رحم الله عمر بن عبد العزيز فلقد كان متواضعاً وكان قائدا أحبه الناس.
يقول سهيل بن أبي صالح »كنت مع أبي غداة عرفه، فوقفنا لننظر لعمر بن عبد العزيز ، وهو أمير الحاج ، فقلت يا أبتاه والله إني لأرى الله يحب عمر، قال : بم ؟ قلت : لما أراه دخل له في قلوب الناس من المودة«.
ولا عجب في ذلك فمن كان حاله ما أسلفناه من التواضع أحبه الناس ، ولا شك أن هذا هو معنى نجاح القيادة الحقيقي.(12)

الهوامش :

(1)ذكره الماوردي ، في كتاب أدب الدنيا والدين .
طبعة دار اقرأ ص 245 .
(2) أخرجه الترمذي وغيره وهو في المشكاة (رقم 5824).
(3) عن صحيح مسلم (كتاب الجهاد) باب غزوة الأحزاب.
(4) سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم 2112).
(5) صحيح أبو داود رقم (2298).
(6) رواه النسائي ، انظر السلسة الصحيحة رقم 1278.
(7) صحيح الشمائل المحمدية رقم 287.
(8) سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم 1876).
(9) رواه الطبري في الكبير وغيره وهو في السلسلة الصحيحة رقم 2120.
(10) فن القيادة ص 59.
(11) المرجع السابق ص 58.
(12) كل ما ذكر عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - نقل من المجلد الخامس في سير أعلام النبلاء طبعة مؤسسة الرسالة.

نحو شعر إسلامي مبدع

بقلم : إبراهيم بن منصور التركي

مدخل :

تفتح مجلة البيان الحوار الهادف والبناء حول ما طرحه الـكـاتـب مـــن آراء حــــول هذا الموضوع ولاسيما من ورد ذكرهم في المقالة - وصولاً إلى الرأي الصواب ورغبة في النهـــوض بالأدب الإسلامي إلى المستوى اللائق به.
- البيان -

درج الباحثون في دراسة الآداب على أن يسبقوها بالحديث عن حيوات العصور المدروسة، فيتحدثون عن التيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي زامنت الأدب؛ ذلك لأن الأدب - في حقيقته - انعكاس شعوري يتأثر بما تفـرزه تلك التيارات سـلـبــاً أو إيجاباً. وما اقتيات الأدب العربي المعاصر من موائد الرطانة المسـتـعـجـمـة إلا شاهد إثبات حـي عـلـى مــا أشربته بعض المجتمعات العربية (والإسلامية) من حب مناهــج الـغــرب الحياتية.
إن عــــدم شيوع فكر إسلامي ناضج يظل الأدب في ظله ويكلؤه برعايته ســبـب رئيسي وراء غربة الأدب الإسلامي. لقد نبت الفكر المعاصر على السحت حتى أوشـــك الأدب أن يرتع فيه لولا بضع أيادٍ تداركت منه بعضاً. عـلـى أن تلك الأيادي لم تخل - بحسن نية - من بعض القراءات الخاطئة ، فأدخلت في حقل الأدب الإسلامي أعمالاً بينه وبينها بعد المشرقين ، لمجرد تناولها حوادث تاريخية أو إسلامية معروفة. فلأن توفيق الحكيم يحكي قصة (أهل الكهف) في مسرحيته المشهورة ، ولأن صلاح عبد الصبور يعرض (مأساة الحلاج)! في مسرحية أخرى ، اعتُبِر عمليهما أدباً إسلامياً دون النظر إلى البعد الفكري الذي تنطوي عليه المسرحيتان(1)رغم أن كاتباً آخر يطرح رأياً نقيضاً حول مسرحية صلاح عبد الصبور، يرى فـيـه أن الحداثـيـين (يعتبرون رموز الإلحاد والزندقة أهلَ الإبداع والتجاوز ، وأهلَ المعاناة في سبيل حريـــــة الفكر والتجاوز للسائد ، وألفوا في مدحهم القصائد والمسرحيات والمؤلّفات كما فعل صلاح عبد الصبور مع الحلاج)(2) . إن مثل هذا الخطأ - غير المقصود - لم يكن ليحدث لو أن المسرحية وقفت في محكمة الفكر الإسلامي.
بل لـعـل ذلـك اللـغــط الذي يدار بين الفينة والفينة مشروعية الأدب الإسلامي مصطلحاً وأداءً، لم يكن ليظهر لولا أن ساحاتنا الثقافية ثمُلت من ماء الفكر الآسن المتلوث بمعميات العلمانية والقومية والعقلانية والتنوير وما أشبهها.
لقد كان في غياب الرؤية الإسلامية تناسل للرؤى الضبابية ، وإثارة للزوابع المفتعلة حول النص الأدبي الإسلامي. بيد أن مؤثرات أخرى أوغلت في فعلها السلبي إلى داخل النص ؛ إذ لا زال بعض من مـنظــري الأدب الإسلامي ومطبقيه يصرّ على تكبيل الشعر والحد من قدراته الجمالية ، تارة بإلباسه عباءة الهدف الأخلاقي ، أو سربلته تارة أخرى في ثياب المكاسب النفعية المجردة. عـلـى أنني لست من أرباب الفصل الحاد بين المتعة والمنفعة في

تحديد وظيفة الأدب ؛ ذلك أني أعـتـبـــر علاقة المتعة بالمنفعة كعلاقة الجزء بالكل. إن تحقيق المتعة المشروعة منفعة ملحة لا غنى للحياة الكاملة عنها ، وإيجاد الجمال المشروع جانب تكميلي لا تتم الحياة إلا به.
ومن هذا المنطلق أرى أن الفن بكل مفرداته ليس إلا عملاً غائباً ينتهي عند تحقيق الإمتاع المشروع(3) ، يستوي في ذلك الرسم والشعر والموسيقى(4). تلك هي الوظيفة الأصل في مهمة الفن ، وإن كان لا يخلو من وظائف طارئة تتلبّس النفعية أحياناً دون أن تكون خالصة لها. غير أن قـلــب الأمـــــور أحياناً يحيل الطارئ إلى أصيل والغاية إلى وسيلة ، وذلك عندما يتم القول بأن (الفن في الإسلام يتخذ مسلكاً مميزاً ، فهو - (كما يقول الكاتب) - وسيلة مهمة من وسائل إثراء الحس الجمالى عند الإنسان ، ولكنه بفضل منهج الإسلام السليم لا يكون غاية في ذاته ، بل هو وسيلة إلى غايات سامية)(5).
ولا يمكن قبول ذلك على إطلاقه ، فالفن - إذا شئنا اعتباره وسيلة - فليس إلا وسيلة إلى هدف أخروي ، هو دخول الجنة ، على اعتبار أن قصد المسلم في جميع أعماله أن تقربه إلى الله زلفى. أما أن يكون الفن وسيلة إلى هدف نفعي يتحقق في الدنيا فذلك مما اختلف مع الكاتب فيه ، وإن كنت لا أريد أن أحجّر واسعاً فتغلق أبواب النفعية في الأدب ولكني أشدد على أنها تظل طارئة وأن الأصل في الأدب هو الجمال. إنّ فرقاً في جماليات النص يظهر واضحاً بين من يسخِّر جهده ليعلي من أدبية النص وبين من يبتغي به وجه المكاسب النفعيّة. على أني لا أشك في أن أرقى النصوص هو ذلك الذي يستطيع بلوغ هدفه النفعي عبر فّنّيات العمل الأدبي.
وإذا كان العالق السالف يبوء بإثم التقريرية والوضوح والخطابية في الشعر الإسلامي فإن عائقاً آخر يأتي ليزر وازرة التخليط المستهجن. هذا التخليط الذي يجعل بعض القصائد أمشاجاً من المعاني لا يؤلف بينها رابط ، فتبدأ القصيدة بلا إعداد مسبق لخط السير الذي ستمضي فيه(6) ، وتخبط خبط عشواء ، دون أن يكون ثمة معنى عام تمضي لتؤديه ؛ مما يجعلها مِزقاً من الخواطر تنوء بالتشرذم والشتات.
لقد وقف الناقد العربي ابن قتيبة موقف المدافع عن الشعر الجاهلي حينما اتّهم بتشتت موضوعاته ، فراح يبحث لتلك الظاهرة عن تعليل ، وبرغم تعسفه في التعليل(7) إلا أنه ذو دلالة واضحة على أن ابن قتيبة كان يرى أن الشاعر الجاهلي يتصور عمله وحدة متصلة الأجزاء يسلم الواحد منها إلى صاحبه.
وكذلك كان الناقــد ابـن طـبـاطبا يوجب جاهزية المعنى في الذهن بصورته النثرية قبل الشروع في كتابة القصيدة(8). وفي الوقت الذي كان فيه النقد العربي يعيب التعلق المعنوي للبيت الشعري بما قبله أو بعده ، يأتي ناقد كابن الأثير ليجيز ذلك محتجاً بوروده بين الآيات القرآنية(9).
إن تلك التسذرات التراثية تأتي لتؤكد على أن ترابط القصيدة ووحدة معناها هاجس كاد النقد العربي يركن إليه لولا أن معيار وحدة البيت شغف القصيدة

العربية حباً وملأ عليها قلبها. ومهما تكن القصيدة القديمة قد عضّت على ذلك المعيار بالنواجـــذ ، فإن ذلك لا يعيبها فلكل عصر مقاييسه الخاصة. غير أن الأنماط المعيشية المنتظمة في عصرنا الحاضر توجب لوناً من التفكير المنظّم ، وهو تفكير يدفع الشاعر إلى أن يعرف سلفاً : كيف سيبدأ؟ وكيف سيستمر؟ وكيف سينهي القصيدة؟. ثم بعد أن يرتسم منهج القصيدة في ذهنه كاملاً يشرع في تدوين تجربته الشعرية متحرّفاً إلى التتابع المنطقي بين معانيه.
والذي يبدو أن إمساك القصيدة الإسلامية بعِصَم التقليدية احتجزها في زاويـــة ضيقة لم تخرج منها بعد. ففي الوقت الذي أثبت الشعر الحر (شعر التفعيلة) وجوده على الساحة لازال بعض النقاد الإسلاميين يماري في مكانته (10) ، ولازال بعض الشعراء محجماً عنه أو مقلاً منه. إننا لا نشك في أن الشعر العمودي متى ما أبدع كان السقف الأعلــى للإنتاج الشعري. بيد أن ذلك لا يمنعنا من طرق الأبواب الجديدة ، وتجريب الأشكال الشعــرية المعاصرة متى توفر فيها إيقاع الشعر وموسيقيته الشعرية.
هذا الجمود الشكلي عند بعض الأدباء الإسلاميين صاحبه جمود دلالي ظلّت القصائد تئن تحت وطأته بلا فِكاك ، ونراه يتمثل في وقوع القصيدة الإسلامية مضغة في شدق المأساوية الدامية ، لا تكاد تخرج منها إلا إلى شعر المواعظ والزهد. وبرغم هذا فإن القصيدة لازالت دون المستوى المأمول في شعرها المأساوي ذاك. فكما لَفَظَ الذوق السليم شعر الغزل الصريح لوقوفه عند معانٍ مستهلكة لا تتجاوز الخد الوردي والشَعر الفاحم والقوام المعتدل ، فقد استكّره من الشعر الإسلامي استعادته - أو سرقته على رأي النقد العربى القديم - لمعانٍ لاكها الشعر من قبل حتى مَّجها. فلا زالت القصيدة تعيد - بتسطيح ظاهرٍ - المعاني ذاتها التي ذكرها أبو البقاء الرندي في نونيته قبل عدة قرون ، وهي لا تتجاوز اغتصاب أنثى وتيتيم طفل وإبادة الرجال والشيوخ.
إن تلك المآسى تحتاج إلى توظيف فني يعمّق أثرها في النفوس بتناول للمأساة منفرد عبر مشاهد تعرضها وتكشف آثارها الخبيئة ، بدلاً من جمع البيض في سلة واحدة كما فعل الرندي.
على أني أعتب على كثير من الشعراء الإسلاميين عدم طرقهم موضوعات شعرية أخرى غير الشعر المأساوي ، فقد أَفَلَتْ شمس الشعر الوجداني وشمس الشعر الغزلى العفيف ، فلم يعد لهما وجود بينهم. إن ما يجب نذكره ها هنا أن طرحنا للأدب الإسلامي يعني اعتباره الخيار الأول والأخير ، وأن وجوده في الساحة يعني رفض ما سواه ، مما يوجب توسيع دائرة الأدب الإسلامي ليستوعب جميع الإبداعات المحتمل وجودها في المجتمع المسلم ، والتي لا تتعارض نصاً أو روحاً مع الإسلام.
ومن ذلك المنطلق أرى وجوب مخاطبة الـشعـر الإسلامي لجميع فئات المجتمع ، بحيث يتـوجّـــه قسم منه ، عبر الوسائل التعبيريـــة القريبة ،

ليحرّك وجدانات العامة ويثير انفعالاتهم ، على أن يبقى منه قسم آخر يستهـــوي المتخصصين في الأدب والنقد بتقنياته الفنية العالية.
إنى لا أريد أن نقع - كما وقع الكثير من النقـــاد - في مزلق النظرة الأحادية عند الحكم على النتاج الشعري ، لقد ذهب بعضهم بدافع تقـديـس الــرؤية الجمالية إلى تفضيل شعر الغموض ، وبزاوية قدرها مائة وثمانون درجة انحرف آخـــرون نحو شعر الوضوح تحت ستار نفعية الأدب.
بـيـنـمـــا ما أعتقده أن القضية لا تحتاج كل ذلك الورم التنظيري ؛ فالشعر الزبد سيذهب جفاءً وأمـا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، وإن كنا نتمنى أن يكون الشعر الإسلامي قد اختار لنفـســـه منزلة بين تلك المنزلتين ، فلا يُوغل في سماء الغموض ، ولا يُغرِق في بحار الوضوح.
ومـمـــا يلاحظ أن النقد المعاصر قد وجّه وجهه نحو تمرير الإبداع الساذج وتبريره ، فإنى أرجـــو أن لا تزلّ قدم النقد الإسلامي المعاصر ، بعد ما رأيت الثناء المتبادل يلفح في وجه النقد الإســـــلامي ، مع تغييب للفعل النقدي الفاعل الذي يتلمّس الأخطاء ويبحث سبل إصلاحها ، ولـعـلي أرجو أن يكون ما كتبته مساهمة مفيدة في قطع مشوار من ذلك الطريق الطويل.
والله الموفق ،

الهوا مش :

(1) يرى الأستاذ الفاضل الدكتور سعد أبو الرضا في كتابه (الأدب الإسلامي.. قضية وبناء) أن مـســرحـيـــة صلاح عبد الصبور المذكورة مما يكشف عن روعة قيم هذا الدين في الإخلاص للمبدأ وهداية الناس (ينظر ص 131) ومن فتاوى ابن تيمية - رحمه الله - إشارة إلى أن الحلاج من أهل البدع والزندقة ، لا أنه من المخلصين لهذا الدين كما فهم الدكتور أبو الرضا. (انظر الفتاوى مجلد 11/ص18).
(2) عوض القرني - الحداثة في ميزان الإسلام ص 29. لمعرفة المزيد عن فكر صلاح عبد الصبور تنظر صفحات (103 - 106).
(3) يمكن القول بأن الإحساس بمتعة الجمال الفني سبب في حصول ما يسميه أرسطو بالتطهير وهو تحرر الإنسان من الانفعالات الضارة (النقد الأدبي الحديث ص 80 - د. محمد غنيمي هلال).
(4) موقف الإسلام من الموسيقى مثل موقفه من الشعر والرسم ، فقد أباح الموسيقى بقيود تبدأ بتحديد الآلة الموسيقية وهي الدف وتنتهي بتحديد وقت استخدامها مقيداً ، في الأعراس والأعياد.
(5) د. عبد الرحمن العشماوي - بلادنا والتميز ص 122.
(6) نشرت مجلة المشكاة/العدد 13 / ص89 / دراسة حول الشعر الإسلامي محمود مفلح ، وجاء فيها مقولة للشاعر نفسه يقول فيها : (الحقيقة لا أنا أهندس القصيدة ولا أخطط لها ... ولم أجلس في حياتي قط لاستجداء القصيدة أو استعطار عطفها ودلالها..)!!!

(7) لمطالعة تعليل ابن قتيبة يرجع إلى (الشعر والشعراء - ص 63 - تحقيق شاكر).
(8) ينظر : عيار الشعر ص 5.
(9) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ص 293.
(10) انظر مجلة المشكاة / العدد 14 / مقال بعنوان (القرآن والسنة يحددان ما هية الشعر العربي) للدكتور : رضوان محمد حسين النجار / ص 22.

برقية إلى بيقوفيتش

د/ محمد بن ظافر الشهري

بيقوفيتش
أعرف أنك لم تسألني قول الشعرْ
أعرف أنك لم تسألني كسرة خبزْ
أعرف أنك لم تسألني شربة ماءْ
أعرف أنك لست تريد كساء
أنت تريد الجمرْ
تغرسه في عين الكفرْ
تقذف فيه كلاب الصربْ
وخنازير الجبل الاسودْ
توقد منه فتيلَ النصرْ

* * *

بيقوفيتش ..
ثق في قوليْ
فأنا مثلك مسلمْ
آلمُ للجرح كما تألمْ
سيقول لك الغرب الكافرْ
لا تسمع قول الإرهابيْ
لا تَتْبَعْ هذا المتطرفْ
بيقوفيتش..
إني أحسبُ أنك تعرفْ
أنك في حكمهمُ الجائرْ
إرهابيٌّ
أنت أصوليٌّ متطرفْ

* * *

بيقوفيتش..
لا تسأل أمما متحدةْ

أن تتدخلْ
فالبطرسُ ذو الكف الأحمرْ
مشغول جداً في البصرةْ
يقتل أطفالاً ونساءاً
كي يرتاحوا
من بطش البعثِّي "الأصغَرْ"
ولقد نفذ في "كسمايو"
نفسَ الفكرةْ
وقريباً قد يصدر أمرَهْ
بدخول السودان الحُرّة

* * *

بيقوفيتش..
لا تدخل معبد بيزنطةْ
لا تسأل أوثانَ الرومْ
إن تسألهمْ .. سيقولونْ :
لا تطلب دعم الإرهابْ :
لا تطلب نبلاً وحرابْ
نَفِّذْ أمرَ الباب العالي
بطرسْ غالي
خذ مِنّا شجباً
خذ تنديداً
وخطاباً معتدلَ اللهجةْ
.. سيقولونْ :
اطلب مِنّا "ما يطلبهُ المستمعونْ"

* * *

بيقوفيتش..
كيف تسير بلا نعلينْ
تطلب غوثاً في صحراءْ
ليس بها زرع أو ماءْ
سيحدثك الرملُ الأبكمُ فيها
بأحاديث "المَبْعوثَيْنْ"
كيف قصدتَ النهر الأعظمْ
تحكي للطحلبِ ما يجري
وسواءً يا بيقوفيتشْ
فهم الطحلبُ أمْ لَمْ يفهمْ
فسيرفض رفضَ الصحراءْ

أن تُلْزِمَهُ ما لا يلزمْ

* * *

بيقوفيش ..
تعلمُ أن زيوتَ الأرض "بِرِنْتْ"
زيت "برِنتْ"
لن يملأ قنديلك أنتْ
زيت "برنتْ"
يملأ أخدوداً صربياً ، يستوعبُ كلَّ البشناقْ
املأْ قنديلكَ يا عِزّتْ
بدموعٍ من عينيْ ثكلى
بدماءٍ من صدر مجاهدْ
وإذا شئتَ بألا يُطْفأْ
املأ قنديلكَ يا عزتْ
بدموعكَ ودمائكَ أنتْ

* * *

بيقوفيتش..
لا تُدخلْ كفكَ في الأرضِ السُّفلى
لا تملأها وِحلا
ارفع كفيكَ إلى الأعلى
أعلنها حرباً من أجل اللهِ
صدقني.. لن تخسر شيئاً يُذكرْ
فسياستهمْ لن تتغيرْ
فبنو الأصفرْ
منذ البدءِ تلقوا من "كيسنجرْ"
هو من نَظّرْ
ومن الدينِ قديماً حَذّرْ
بيقوفيتش..
صدقني أنك لن تخسرْ
سوف تُمَكَّنُ مِنْ أنْ تَثأرْ
سوف تُظَفَّرْ
ستعيش إذا عشت حميداً
وإذا مت تكون شهيداً
هذا نصح أخيك المسلمْ
لا يعرف زورا ونفاقاً
لا يؤمن "بالعرف الدولي"
لا يحمل معنى للغشْ

صبراً صبراً بيقوفيتشْ

الإفك الثقافي والأدبي

إعداد : نورة السعد

لاخير في نشيد شاعر ولا صـــــوت مـــغـــن
إذا لــم يفيضا علــى المجتمع الحياة والحماس
(محمد اقبال)

لقد وضعت بين أيدينا آلاف الكتب المترجمة ، لنطلع على آداب الغرب والشرق من الدول الوثنية والأدب الوثني على وجه الخصوص، كل ذلك تحت اسم عالمية الثقافة ، وبهدف تعريفنا بالعطاء الإنساني!! في ألوانه الجاهلية!!
بل لـقــد دعينا من قبل أكثر مثقفينا إلى الانفتاح على الثقافات العالمية ، وحضنا بعض المتحمسين عـلـى الالـتـفــات إلـى الثقافات الأسـيـويــة الوثنية في الصين والهند واليابان وكوريا (انظر على وجه التحديد د. عـمــار الطالبي - بحـــث بـعـنــوان : التفاعل والتواصل بين الثقافات الإنسانية - قدم في ندوة الثقافة العربية : الواقع وآفـــاق الـمـسـتـقـبـل من 12 - 15 إبريل 1993 - جامعة قطر)
ولكن ما طبيعة ذلك التواصل والتلاقح الثقافـي المقترح بين الإسلام والحضارة الوثنية؟؟
وكيف يمكن أن تتصالح هاتان المنظومتان المتعارضتان : (ثقافة تراعي الشمول الإنساني بين وفاء الإنسان لربه وتزكيته لنفسه ونقاء قلبه وعمله لآخرته والأخذ بالمقتضيات العصرية.
ثقافة مؤسسة على الوحي وثقافة لم يرد لها أصحابها هذا الأمر ، ثقافة ترفض الغيبيات وتقوم على المادة أساساً وثقافة تتبنى ثوابت إنـسـانـيـــة لا تغـيـر فيها من جانب العقيدة والعبادة والأخلاق وأصول المعاملات.... ومصطلح التفاعل والتواصل ، هل مفهومهما واحد لدى الثقافات؟
وأين رحابة الصدر الواسعة في الثقافة الإسلامية التي تتسع للمـخـالـفـيـن وكم بينها وبين الثقافات الأخرى التي تضيق بالمخالفين ولا ترضى بغير التبعية والإلحـــاق ((ولَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ))[البقرة : 120] (تعقيب للدكتور محمد رأفت سعيد على بحث الدكتور الطالبي ، المشار إليه آنفا - استمع لشريط صوتي بعنوان : ندوة الثقافة العربية بالدوحة - بحث د. عمار الطالبي)
لماذا - يا ترى - حرمنا من العطاء الإنساني في صبغته الإسلامية؟؟
ولماذا حجبت عنا آداب الشعوب الإسلامية ، وإنتاجها الأصيل ، تلك التي تجمعنا بها العقيدة الواحدة والصلات الناجزة والآلام والآمال المشتركة؟؟

ومـتــى تـفـتـح الصفحات الثقافية والأدبية - كما يسمونها - ، كوة صـغـيـــرة للأدب الإسلامي؟؟ مـتى يكتشف القراء المسلمون أن أدب ناظم حكمت ليس هو الممثل الحقيقي للأدب التركي وأن ناظما ورفاقه الشيوعيين ليسوا سوى الصوت النشاز في نسق الأصوات الإسلامية المبدعـــــة في تركيا من مثل محمد عاكف ، الذي تغنى في قصائده بالجهاد الإسلامي ضد قوات الحلفاء ، وتحدث عن محنة المسلمين في ظل (العلمانية) التركية ، وكذلك نجيب فاضل وابداعاته في الشعر والمسرح، وسيزائي قره قوج، ومصطفى مياس أو غلو ، وعلي نار ، وآخرين يمثلون حقاً واقع الشعب المسلم في تركيا ومـعـاناتــه وابائه ، ومتى يعلو صوت محمد اقبال عبقري شبه القارة الهندية على طنطنات القوم حول قصائد طاغور العالمية (!!) وفلسفته الوثنية؟؟
متى سيفتح لنا باب صغير لندلف منه إلى عرصات الميدان الواسع للأدب الإسلامي المغبون ، ذلك الميدان الشاسع المتنوع ، لدى كافة الشعوب الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، قديماً وحديثاً ، زاد وفير يزدريه المثقفون ويعمى عنه الجاهلون ، ويتنكب عنه الدارسون والباحثون - تحت تأثير الأهواء والدعايات والغفلة - إلى سواه من الآداب القميئة التي تعملقت بفعل الأضواء الباهرة. متى نتوفر على دراسة الأدب الإسلامي؟ لنقع على قواعده الخاصة ومناجمه الغنية ودروسه العظيمة؟ متى ننظر إلى رسالة الأديب المسلم العقدية وإلى مفاهيم الأدب الإسلامي وقيمه الأدبية والبلاغية والنفسية والاجتماعية؟
ومن منكم سمع عن الشاعر العربي المسلم كامل أمين ، شاعر الملاحم الإسلامـيـــة ، الذي يقف اليوم على مشارف العقد الثامن من عمره . لقد أبدع كامل أمين الملحمة الشـعـريـــة بمعناها الفني المتكامل وشهد له شيخ النقاد د. شوقى ضيف ، حين وصف ملحمته (عين جـالــوت) بأنـهــا الشهنامة المصرية. وقد بلغت هذه الملحمة عشرين ألف بيت من الشعر وللشاعر ثلاث ملاحم أخرى وخمسة دواوين ومسرحية شعرية واحدة. فأين هو هذا الإنتاج الغزير؟؟ (انظر مجلة المجتمع الكويتية - 28 - شوال - 1413 - العدد 1046 - ص 50 - 51)
ولماذا يغيب كل شأن إسلامي عن أهله المسلمين؟ ولم يضرب صفحا عن كل إنتاج يعبر عن وعي وعاطفة إسلامية؟؟ ولماذا يحكم عليه - غيابيا - بالوهن والافتقار إلى الصنعة الفنية؟
ولماذا يستبعد ويـطـــرد من حياتنا الثقافية والأدبية تماماً؟؟ ومن الذي يحكم؟؟ وما المعيار المعتبر في هذه القضية؟؟
إنك إذا جرؤت اليوم على الحديث عن عقدية الأدب وأخلاقياته، سيصرخون في وجهك: ما لنا ولهذا الحـديـث؟ ألا تعلم أيها الجاهل بأن كتابة الأدب الحديث ، يعني أن تتحرر مــن كل القيود والضوابط. لقد روضت الحداثة ما كان صعبا حرونا ودخلت اليوم البذاءة والفحــش والتجديف في الدين إلى ما

يسمونه أدبا (والأولى أن يسمى انحلالا). فالحداثة تعني التحرر من ورقة التوت ذاتها وصدق العمل وفنيته مرهون، بمدى خوضه - العميق - في ما يسمونه الحياة التحتانية اللاواعية لفرد.
لكن الأديب المسلم - بالضرورة - أديب داعية مسلم ، ينطلق من مشكلات أمته وتحديات عصره ، ويلتمس - بعقيدة المسلم وبصيرته - الحلول والوسائل التي تتفق مع التصورات الإسلامية والمقاصد الشرعية. إن قضية الأديب المسلم هي بالذات قضايا الإسلام والمسلمين فـي الـعـالـم. وأنى للأديـب المسلم أن يتجاهل كل هذه المآسي والمحن والنكبات وصنوف الإذلال والتعسف والهوان التـي نزلـت بـسـاحـــة أمته لينصرف تلقاء مشكلات مصطنعة وقضايا باطلة من مثل الاشتراكية والوجودية والحداثية والشكلية!! (انظر شريط سمعي - لمحمد قطب - بعنوان : رسالة الأديب المسلم إلـى النـظـام الجديد) وقد برز إلى الساحة الأدبية الإسلامية المعاصرة أدباء متميزون كبار ، أمسكو بين أيديهم بخيوط الأدب والفكر والدعوة في آن واحد. عرفنا منهم محمد اقبال وسيد قطب وأبا الحسن الندوي. ولقد نظمت الملاحم الإسلامية القوية في لغة الاوردو، لغة الهند الشعبية وانتشرت هذه الملاحم الشعرية بين مسلمي الهند وكان لها أكبر الأثر في تنشئة الأجيال المسلمة على الخصائص والأخلاق الإسلامية بل إن لها فضل كبير في إثارة النخـــوة الدينية وتأجيج الجهاد الإسلامي ضد الانجليز المحتلين. وتصدى الأدباء والشعراء المسلمون في شبه القارة الهندية وفي باكستان لقيادة الركب الفكري والثقافي وقاوموا الغزو العقدي والثقافي والأخلاقى. (انظر نظرات في الأدب - أبو الحسن الندوي - رابطة الأدب الإسلامي العالمية - دار القلم دمشق - 1408 - ص 84 - 85) هذا بقطع النظر عن الأدباء والمثقفين المتأسلمين (ذوي الأسماء الإسلامية) الذين أنبتتهم المخططات الغربية (الانجليزية عـلـى وجـــه التحديد) وأرضعتهـم لبانها فانسلخوا عن الإسلام واتبعوا خطوات الشيطان (من أشهرهـم فـي وقـتـنـا الحاضر سلمان رشدي).
إن الأدب الإســـلامي ليس وعظا ولا ما يشبه الوعظ ، وليس بيانات وإرشادات مـبـاشــرة عاطلة من الجمال ، مفـتـقـرة إلى الأساليب الفنية ، بل إن العقيدة الإسلامية لا تمثل قالبا جــامدا لكنها موقف عام يصدر عنه الأدباء المسلمون بمختلف آرائهم وإمكناتهم وعواطفهم وصـــــورهم وأخيلتهم وإبداعاتهم الخاصة. إن الأدب الإسلامي يتفرد بكونه أدب العاطفة الحرة والحـمـاسة المشبوبة للدعوة والجهاد. وهو أدب مترسل طبيعي ، يلجأ إلى الفنية في الأداء والتأنـــق في التعبير ولكن لا تسيطر عليه الصناعات اللفظية ولا يتسلط عليه التعقيد الفكري المأزوم ولا تـسـجـنـه النخبوية ولا تخنقه الفردية. إنه أدب معافى من وهن الروح ومرض القلب.

وفي الأدب الإسلامي - وحده - عاطفة إيمانية جياشة ، صقلها الاشتغال بالله والدعوة إليه (بمفهومها العام) ، والعزوف عن الشهوات والأهواء الدنيوية كلها ، بشتى أنواعها.
فأين تلك الأشعار والنصوص ؟؟ هل سقطت سهوا من المناهج الدراسية والوسائل الإعلامية والملاحق الأدبية؟؟ هل حار فيها الجاحدون أيمسكونها على هون أم يدسونها في التراب!! لـقــد استبدلت بها النصوص المبهرجة وأنواع النثر والخمريات والهجائيات والمجونيات والحداثيات الكفرية التي تطاولت على الثوابت العقدية وعلى سائر الغيبيات.
ولقد سخروا من المرأة طويلاً ، حين استحسنوا أدب التنهدات والأوجاع النسوية ، وحين صـفـقــــوا للنماذج النسوية الجريئة (!!) التي اخترقت طــوق الـقـيم وقاومت ما يسمونه التخلف الديـنـي. والاجتماعي!! وتميزت تجاربها بالصدامية والاعـتـرافــات والممارسات التحررية ، منذ صالون مي زيادة ، وإلى كتابات غادة السمان ونوال سعداوي ومن تابعهما. وما زالوا ينعون على العهود الإسلامية ، (التي منعت المرأة العربية من التعبير عن نفسها منذ أن رحلت الخـنـســـاء في العصر الإسلامي الأول فسكتت بعدها النساء حتى العصر الحديث) هكذا!! (رجاء النقاش انظر جريدة الشرق القطرية - الصفحة الثقافية - عدد 15 ذو الحجة 1413) كثيرة هي أحاديث الافك الثقافي والأدبى ، لا سيما تلك المتعلقة بالنفخ الشيطاني في صورة المرأة الأدبية والمرأة الفنانة!!.

القذافي ويهود:
بقي من الوقت ستة أعوام

د : عبد الله عمر سلطان

عنوان هذا المقال يرجع إلى تصريـح أدلـى بــه رئيس وزراء ليبيا السابق السيد مصطفى بن حليم تعقيبا على مذكراته الشخصية التي حملت عنوان : »صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي « والتي نشرت في بداية العام الحالي.. في هذا التعقيب يذكر السيد (بن حليم) بعد أن صمت لأكثر من ثلاثة عقود أن الرئيس الأمـريـكـي رتـشــارد نـيـكـسـون قد قال له بعد انقلاب القذافي عام 1969م إن وزير الخارجية الأمريكي وسفير أمريكا لــدى ليبيا قد قدما تقريراً هاماً للرئيس الأمريكي يقولان فيه »ننصح بعدم التخلص من القذافـي... فـأمامنا 30 عاماً للتعاون معه !!
إذن فها هي الأعوام تمر بطـيـئة على شعب ليبيا المحاصر ، وها هو القذافي يمسك بزمــام السلطة لربع قرن تقريباً... وبعـمـلية حسابية بسيطة فإن القذافي على ضوء الكلام الــرسمي الأمريكي لا يزال صالحاً للاسـتـعمال لستة أعوام مقبلة على الأقل... تنتهي فيـهــا الفترة الافتراضية التي وصفها

السيناتور الأمريكي للإفادة من الضابط الأكثر سوءاً في تاريخ العرب المعاصر...
لن تقبل تفسيرات بالغة الـبـسـاطـة أو موغلة في سوء الظن.. وهي منتشرة وشائعة بين أبناء الشعب الليبي - ترجع تفسير سلوك وتصرفات الرجل إلى أنه قد ولد لأم يهودية... وتربي بين اليهود...!!
لن نُسَّطح القـضـية إلى مستوى فرضية العمالة المباشرة لجهاز المخابرات الأمريكي » CIA « وأن الـقــذافـي أتى للسلطة لتـنـفـيذ مخططات وسياسات الغرب وتوجهاته بصورة العميل المباشر الذي يقبض الثمن من خلال حمـايـته في السلطة أو دفع مبلغ من المال مقابل القيام بالمهمة!!
وسنحاول ان نبتعد قـلـيـلاً في هذا المقال - حيـنـما نتحدث عن القذافي واليهود عن نظرية »المؤامرة« التي أعـدهـــا الصهــاينة أو الماسونية الـعـالمية بزرع هذه النبتة الشيطانية في ليبيا لتهلك الحرث والنسل...
ومع هذه المحاولات فإن من حقنا أن نسأل من هو المستفيد الأول في بقاء القذافي في السلطة طوال هذا الوقت - ومن هو الخاسر الأكبر من خطواته السياسية الأخيرة...
يقول العقيد إن المستفيد الأول هـــو الشعب الليبي وإنه لا يريد الحكم ولا يمارسه حقيقة وواقعا بل هو يحرض الجماهير علـى أن تحكم نفسها بنفسها كما صرح للتلفزيون الكندي CBC ...
ونقول... من فمك ندينك ولا سيما إذا نقلنا آخر تصريحاته النارية لجريدة العرب القذافية الصادرة في لندن حيث يقول : »إن ليبيا بلد ليس له مستقبل.. لذا يتوالد الناس ويتكاثرون وتبنى الطرق والمدارس والمباني فيه... في أقل من عـــشرين عاماً سنكون مضطرين أن نخرج من ليبيا ونتركها!« لا علما أن القذافي قد عرض الـعـام الماضي مبلغ عشرة آلاف دولار لكل ليبي مقابل أن يهاجر إلى مــصــر أو السودان أو تشاد ، حيث الأنهار والجنان بينما ليبيا صحاري قاحلة لا أمل في استصلاحها...
نسمع عن قادة يقتلون معارضيهم... وقادة يسجنون منتقديهم... لكننا لم نسمع حتى الآن عن قادة يهجَّرون شعوبهم بالكامل ، وينادون بإزالة بلدانهم عن الخريطة الدولية وإقفالها وكأنها دكان أو مشروع نفطي فاشل!!
وقد يردد أنصار العقيد إن المستفيد الأول هم العرب والعروبة المستعربون!!
لكننا نقول لهم إن هذا أمر كان يقبل التصديق قبل عـقـــد من الزمن مثلاً حينما كانت إذاعة »صوت مصر العروبة« تنادي بالحل القومي طريقاً للخـــلاص وتسـمــى »اتفاقيات كامب دافيد« خيانات معسكر داود ونشير إلى مقررات قمة فاس وتسميها مقررات "مربض فاس«"!
أما الآن فالقذافي أول المطالبين بالانضمام إلى الإسطبل وبقـبـولـــه عـضـــــــوا في المربض الإسرائيلي.. دع عنك »مربض فاس«! لقد ثبت أن

القذافي قد أضر بقضية الـعــرب بصورة كارثيه لا تقل شؤما عن دور إخوانه من قادة الحل القومي العلماني : جمال عبد الناصر وصدام.
قد يقول قائل »إن القذافي في الحقيقة "رجل ثوري" وجد أن حلمه القومي قـــد انتكس بعد عدة محاولات للوحدة مع الجيران العرب والأخوة الأفارقة ، ولذا فقد توجه إلى الحركات التحررية في العالم يدعمها ويقدم لها السند اللازم لخوض معركتها الثورية العادلة«!!
والرد على هذا ندعه للناطق باسم الجيش الجمهوري الأيرلندي الذي أنفق القذافي عليه مئات الملايين من الدولارات ، واطلع في المقابل على أدق أسراره وتركيبته التنظيميه... ، هذا الناطق يقول لم نكن نتصور أن القذافي قذر إلى هذه الدرجة حيث عمل كمخبر دولي تجسس على منظمتنا والمنظمات الثورية الأخرى!!
وإن شئتم اسألوا الأشقاء الثورين في نيكراجوا والسلفادور وتشيلى وفيتنام والصحراء الغربية وليبريا حيث بُدد مال الشعب الليبى في مشاريع العقيد التحررية والتى كف عن ممارستها بعد أن طلب منه ذلك فسارع إليه وقدم أكبر حجم من المعلومات السرية لأعـــداء المشروع الثوري الذي كان زعيمه في فترة جمع المعلومات المطلوبة...
وهنا قد نسأل قائل ربما كان هناك جهة أخرى مستفيدة من بقاء القذافي ونظامه لمدة ربع قرن...
والحقيقة أن المراقب المنصف يعجز عن أن يجد جهة واحدة تستفيد من وجود هذا المعتوه سوى جهة واحدة هي جهة يهود.
يهود سواء أكانت متمثلة بقبائلها الإسرائيلية أو الأمريكية أو الاقتصادية وسجل القذافي خير دليل.
القذافي خنق شعبه وأذله وحارب »الأصولية« التي تشكل التهديد الأول لليهود والـغـــرب بأسلوب فائق الكفاءة...
والقذافي جعل ليبيا من أتعس دول العالم العربي ودمر قوتها الاقتصادية بطريقة لا يمكن إلا للقذافي أن يكررها بهذه الصورة المفزعة.
الـقـذافـي شـــق صف العرب بحجة الرهبنة الثورية بينما كان في الحقيقة يمهد للمشروع الصهيوني أن يأخذ مداه.
والقذافي هو الأبـــرز حالياً من بين الحكام العرب ممن تلاعب بالدين بصفاقة وألغى السنة وحارب الشريعة.
والقذافي هو أكثر من شوه صورة العرب والمسلمين في أوربا خلال التاريخ المعاصر...
بعد هذا هل يمكن أن تكون الإجابة على السؤال الذي طرحناه آنفا عن المستفيد من حكم القذافي غير جواب واحد من أربعة حروف : يهود!

المرحلة المكشوفة : التطبيع القائم

اختار القذافي أسلــوب التناقض الشيزوفريني الذي يجعله ينتقل من النقيض إلى النقيض دون شعور بأعراض الانفـصام السلوكي... ولذا فقد كان انتقاله من جهة الرفض والصمود والتصدى للصهاينة إلى جبهــة الانهيار الكامل أمام مشروعهم انهياراً سريعا.. مثيراً... مدهشاً
القذافي الذي يعرض على كل يـهـــودي خرج من ليبيا مليون دولار تعويضا هو نفسه الذي لبس القفاز الأبيض حتى لا تلمس يداه يد الذين صافحوا اليهود من القادة العرب.. «
أما الآن فقد اتضح السبب... القذافـي لا يؤمن بالوسطاء... كان يريد التحدث مع اليهود مباشرة ومصافحتهم يدا بيد...!!
اتضح ذلك بعد سلسلة من الأحداث المتسارعة خلال الأشهر القليلة الماضية في أسرع عملية تطبيع قائم بين اليهود والحكومات العربية...
ودعا الصحفية الصهيونية جودت ميلر المشهورة بتعصبها الصهيونى لإجراء مقابلة صحفية لجريدة الهارلد تريبيون أبدى استعداده فيها لتطبيع العلاقات مع اليهود والدخول معهم في مشاريع مشتركة واستعداده لتعويض اليهود الليبين بمبالغ مالية مجزية.
استقبال القذافي لروميو فلاح اليهودي مــن أصـــــل ليبي والاتفاق معه على صفقة تتدخل إسرائيل بموجبها طرفا لفك الحصار عن نظام القـذافـي مقابل زيارة الليبيين لدولة الكيان الصهيوني في صورة حجاج وهذا ما تم مع احتمال زيارة القذافي نفسه للصهاينة..
الدعوة لمؤتمر للأديان السماوية على غرار مؤتمرات السادات التي رافقت الصلح مع اليهود ويدعى خلال هذه المؤتمرات اسرائيليون بارزون منهم عمدة القدم الصهيوني وضباط بارزون في المؤسسة العسكرية الصهيونية.
فضيحة ابراهام صونير اليهودي من أصل عراقي وقـــد اتــصـــــل بـــــه رئـيـــس الجهاز الإستخباراتى الليبي لمواجهة المشاكل القانونية التي تواجه نظام القذافي لا سـيـمـــا فـي الأوســــاط الشـعـبـيـة في الغرب... وصوفير كان يعمل مستشاراً قانونياً لوزارة الخارجية الأمريكية بين عامي 1985 - 1990 وهو الذي صاغ المذكرة الأمريكية التي حددت التهم الموجهة للعقيد القذافي.
لقد أثار القذافي مشاعر السخط لا سيما خلال زيارة مجموعة المخابرات الليبية للقدس في الوقت الذي كان المسلمون يحجون لبيت الله الحرام... فقد وصلت الخيبة ببعض القوميين لأن يكتب مخاطباً القذافي أمين عام القومية العربية ! قائلا »إن زيارة الحجاج الليبيين للقدس هي فضيحة تعادل زيارة السادات للقدس. تلك القدس(1) وهذه القدس(2)...
ويحز في النفس أن الــذي قــام بهذه الخيانة هو الذي كان يقول : »كيف تستمر السفارة الإسرائيلية يوماً واحداً في القاهرة ، ليس في المعقول أن

يسير إسرائيلي في شوارع القاهرة مطمئناً مستهتراً... مش قادرين تذبحوهم.. الأمريكان يذبحون إخوانكم في ليبيا«.
هذا كان زمن الاستنكار... واليوم يوم الانكسار.....
لقد اتصل مواطن أمريكي بالكاتب الأمريكي الشهير جيم هو غلاند معلقا على المحاولات القذافية للتطبيع مع اليهود قائلاً له : إن فضيحة ابراهام صوفير هي الجزء الصغير الظاهر من جبل الجليد... وكلما تمعنت في المحاولات الليبية على الساحة ستجد العامل الإسرائيلي »ويعلق الكاتب الشهير ، إن المواطن مصيب تماما حيث إن واشنطن تراقب بحذر التحالف الليبي - الإسرائيلي الصاعد« واشنطن بوست 22 / 7 / 93.
.. نعم تحالف بين اليهود... والقذافي الذي يريد إبادة شعبه مرة بالقتل والتصفية الجسدية ومرة بالحصار الاقتصادي ومرة بمصادرة كرامته وحريته ومرة بدعوته للهجرة من بلده علنا ودون حياء....
إن لحظة تأمل لهذه المرحلة المقبلة من التحالف الإسرائيلى/ القذافي تجعلنا نقلب صفحات هذا المشؤوم لنفهم طبيعة الرجل فلا نجد أبلغ من خطابه الذي ألقاه في سبتمبر عام 1984 بعد أن أعدم مجموعة من الشباب الليبي في شهر رمضان كما يقول محمد مخلوف »كان حادث شنق المهندس الصادق الشويهدي في 5 حزيران قد هز الشعب الليبي حيث شاهدها الناس قبل إفطار رمضان وبعده... وبعد أن تم اقتياد المتهم إلى حبل المشنقة وسط هتافات اللجان الثورية وفي مجمع المدينة الرياضية في بنغازي... أما خصوصية حادث المهندس الشويهدي فهو أنه بعد إنزاله من حبل المشنقة ونقله إلى المستشفى وجد حياً وأجرى له الأطباء تنفساً صناعياً ، وتم الاتصال بالقذافي لإبلاغه الأمر ، فأصدر أمراً فوريا بالإجهاز عليه وحينما رفض الأطباء القيام بذلك قامت إحدى الثوريات المقربات من القذافي المدعوة (هدى بن عامر) بتنفيذ الأمر بقتله وبرر القذافي عمليات الإعدام العنيفة هذه في خطابه في أيلول (سبتمبر) من العام نفسه قائلا »شفتوا الإعدامات زي السلام عليكم في شهر رمضان (!!) ولا يهمني في رمضان لا حرام ولا شيء... ما فيه شيء حرام ما قمنا به عبادة !!
نعم إنها قرابين قدمها القذافي لآلهته..
فهل نبذل العناء لكي نسأل السؤال الممجوج..
»من المستفيد من بقاء القذافي« خصوصاً إذا عرفنا أن التطبيع المتسارع في الأعوام القليلة القادمة يقتضي وجود أمثال هذه الزعامات ، التي أشار نيكسون إلى أن لها أعواماً قليلة أبرز عناوينها وخططها التمكين للمشروع الصهيوني في وسط غابة الدُمى.

أوضاع المهاجرين الطاجيك

بقلم : نظر الفريابي

توطئة :

بعد حملات الإبادة الشــامــلـــة التي قامت بها الحكومة الشيوعية الطاجيكية ، فإنها لم تستطع السيطرة التامة على الأوضــاع ، وتثبيت دعائم الاستقرار في البلاد ، ولأجل ذلك قامت بتوزيع الأسلحة على الموالين لـهــا في المناطق الجبلية للحيلولة دون سيطرة المقاومة الإسلامية عليها ، ودعمها بالقوات الروسـيـــة ، والأوزبـكـيـة ، مما أدى إلى قصف المدن والقرى ، والمواقع التي يسيطر عليها الإسلاميون، وتقوم بذلك القصف الطائرات الروسية، والأوزبـكـيـة ، مما دفع بالمواطنين العزل إلى الهجرة إلى جهة أكثر أمناً ، فكانت هجرتهم إما إلى الدول المجاورة لطاجيكستان ، أو إلى الجبال والغابات، فـتـفـــرق أكـثـر من مليون نسمة ، منهم من دخل إلى آسيا الوسطى المتآخمة لطاجيكستان ، ومنهم من لاذ بالفرار إلى أفغانستان ، والذين تمكنوا وعبروا الحدود يزيد عددهم عن مائة ألف نسمة ، وأكثر هؤلاء هاجروا من الولايات المتآخمة لأفغانستان ، كولايات »قم سنكي« و »توس« و »بنج« و »قورغان تبه« وبقية هؤلاء المهاجرين منتشرون وسط الجبال في طاجيكستان ، أو في القرى الأكثر أمناً .

وقد قام الشـيـوعـيـــون بالهجوم الشرس على هؤلاء فاضطروا لاختراق الأسلاك الشائكة ، وعبور نهر »جيحون« والدخول إلى شمال أفغانستان ، وذلك بمجازر وحشية مما جعل بعض المهاجرين يرمون بأنـفـسـهــم في النهر ، وحسب الإحصائيات يبلغ عدد الذين قتلوا عند العبور ، أو ماتوا غرقاً في النهر ما يقارب عشرين ألف مسلم ، أما عن انتهاك الحرمات ، واغتصاب الفتيات اللاتي أخذن بالقوة ، وإرجاعهن إلى داخل طاجيكستان ، بعد أن قاموا باغتصابهن ، وغير ذلك من الأفعال المشينة التي يعجز القلم عن تصويرها في هذا الموجز ، فحدث ولا حرج.

وضع المهاجرين في أفغانستان :

تربط الشعب الأفغاني بالـشـعــب الطاجيكي بالإضافة إلى الروابط العقدية ، وحدة اللغة ، والعادات ، مما جعل الأفغان بحكــم ما عانوه خلال الغزو السوفيتي الشيوعي الغاشم من تهجير ولجوء ، يسارعون وعلى جميع المستويات بإيواء هؤلاء المهاجرين خلال الفترة التي سبقت وصول المساعدات الإغاثية ، وامتدت هذه الفترة حوالي أكثر من شهرين :

بعد ذلك تم نقل هؤلاء المهاجرين من مناطق لجوئهم خاصة عند نهر »جيحون« إلى معسكرات أعدت لهم ، وقد تضافرت في ذلك العمل جهود الحكومة الأفغانية ، والشعب الأفغاني ، وقد كان لهذا العمل الأثر الكبير في نـفـــــوس هؤلاء المهاجرين ، والتخفيف عن آلامهم ؛ حتى وصول المساعدات الإغاثية الخارجية.

ويتوزع المهاجرون في عدة مناطق ، وهي كالآتي :

1 - و لاية » قندوز « :
يوجد في ولاية » قندوز « ما يقارب أربعين ألف مهاجر ، توزعوا في :
أ- المدارس ، والمرافق الحكومية.
ب- مطار قندوز حيث كانت ثكنات الجيش الروسي في عهد الاحتلال الروسي لأفغانستان ويبعد عن مركز » قندوز « عشرة كيلو مترات.
جـ - مخـيـم الإمـام البخاري ، وأقيم هذا المخيم بجهود من مجلس التنسيق الإسلامي ، ويقع على مسافة قريبة من مطار » قندوز «.
2 - ولاية تخار :
ويوجد في مركز » طالقان « ما يقارب ثلاثة آلاف وخمسمائة عائلة توزعوا في بيوت المواطنين في »طالقان« حيث لم تتوفر لهم إقامة المخيمات.
3 - ولاية »بدخشان« :
لا يتجاوز عدد المهـــاجــــرين في هذه الولاية ألفي شخص ، وسبب ذلك عدم توفر المواد الغذائية في المناطق التاخمة للحدود الطاجيكية لولاية »بدخشان« ونأمل أن يتم نقل هؤلاء إلى مناطق أخرى يتوفر فيها إمكانيات إيوائهم ، وإعاشتهم ، لأنهم يعيشون في حالة مأساوية شديدة.
4 - ولاية »مزار شريف« :
تم نقل عدد كثير من المهاجرين بواسطة طائرات مروحية إلى »مزار شريف« لأن المسافة من الحدود الطاجيكية إلى »مزار شريف« تبعد حوالي ثلاثمائة كيلو متر ، وقد أقيم لهم مخيم على بعد عشرة كيلو مترات من مركز »مزار شريف« وقد ساعدت في ذلك المنظمات الإغاثية الدولية ، وذلك بحفر الآبار ، وإيوائهم في المخيمات ، وتقديم المساعدات الغذائية لهم ، علما بأن عدد هؤلاء المهاجرين يتجاوز خمسة وعشرين ألف مهاجر.
وأريد أن أشير هنا إلى أن إدارة مـــــزار شريف مشتركة بين المجاهدين ، وقوات دوستم ، ووالي »مزار شريف« مولوي محمد عـلـــــم مـن المجاهدين الأوائل ، أبدى استعداده الكامل لتقديم كل التسهيلات للمشاريع التي يتم تنفيذها بين المجاهدين الطاجيك في مزار شريف«
5 - مديرية »طاشقرغان« :
هذه المديرية تابعة لولاية »سمنجان« لكنها لا تبعد عن »مزار شريف« أكثر من ثلاثين كيلو متراً تقريباً ، وقد أقيم فيها مخيم على مقربة من مديرية »طاشقرغان« من قبل المنظمات الإغاثية، وهذا المخيم تشرف عليه منظمة الأمم الـمـتـحدة كما تشرف على مخيمات المهاجرين في ولاية »مزار شريف« وعدد هؤلاء لا يتجاوز خمسة آلاف مهاجر.

المنظمات الإغاثية :

لا يوجد في الساحة سوي منظمتين للإغاثة ، وهما :

(1) مجلس التنسيق الإسلامي :

وهو يتكون من عدة منظمات إغاثية إسلامية كان يقوم بين المهاجرين الأفغان في بيشاور بعمل الإغاثة ، ثم انتقل فرع منه إلى ولاية » قندز « ليقوم بعمل الإغاثة وسط المهاجرين الطاجيك ، وهي الجهة الوحيدة التي تقوم بهذا العمل في ولاية » قنذز « حيث لم تقدم منظمة الإغاثة الدولية التابعة للأمم المتحدة أي مساعدة ، وتعلل ذلك بأسباب واهية بعيدة عن الحقائق ، ويكمن ذلك في عدم إمكانية استقلالية عملها في هذه الولاية ، وقد قام والي » قندز « قاري -رحمة الله- مع بعض المسؤولين بمقابلة مندوبي الإغاثة الدولية لإقناعهم بتقديم المساعدات لهؤلاء المهاجرين ، وبعد محادثات طويلة اعتذروا عن تقديم أي مساعدة في ولاية » قندز « إلا إذا تم نقل هؤلاء المهاجرين إلى ولاية »مزار شريف« حيث توجد محاولات بين الأمم المتحدة ، والحكومة الطاجيكية الشيوعية لإرجاع هؤلاء المهاجرين إلى طاجيكستان ، لا يتحقق لهم هذا الحلم في ولاية »قنذر« مع أن دوستم في زياراته لهؤلاء المهاجرين في مخيم »مزار شريف« يتظاهر لهم أنه لن يسمح لأي جهة بإرجاعهم إلى طاجيكستان إلى أن يستقر الوضع هناك.

نظرا لقلة إمكانيات مجلس التنسيق الإسلامي ، فإنه لا يستطيع أن يوفر جميع احتياجات المهاجرين في ولاية » قندز « لذلك ينحصر نشاطه في توزيع الخبز ، والأرز ، والدقيق ، وتوزيع الخيام ، ويقوم يومياً بتوزيع أربعين ألف قطعة خبز على المهاجرين الذين يسكنون في المدارس ، والمرافق الحكومية ، وكذلك مخيم الإمام البخاري.

وقد كون والى »قندز« قاري -رحمة الله- لجنة من أئمة المساجد، وبعض القيادات من المجاهدين ، لتقوم بجانب مجلس التنسيق الإسلامي في تحمل أعبائها ، وهم الذين يقومون بتوزيع المواد الغذائية بين المهاجرين.

(2) منظمة الإغاثة الدولية :

وهى إحدى المنظمات التابعة لمنظمة الأمم المتحدة ، وتنحصر مجالات عملها في ولاية »مزار شريف« ومديرية »طاشقرغان« وذلك بإيواء المهاجرين في المخيمات ، وتوزيع المواد الغذائية عليهم ، وقد قاموا بحفر عدة آبار في هذا المخيم ، ويعتبر هذا المخيم أفضل حالاً من المخيمات الأخرى. حيث تشرف عليه هذه المنظمة المدعومة دولياً ، ولا يخفى على ذي بصيرة مآرب هذه المنظمة في تقديمها هذه الخدمات.

وضع المهاجرين في ولاية » قندز « :

كما أشرنا فيما سبق أن مجلس التنسيق الإسلامي رغم جهوده المشكورة والمقدرة في إغاثة هؤلاء المهاجرين ، إلا أن حالتهم سيئة للغاية ، حيث لا يتوفر لديهم ما يفترشونه ، وما يتقون به شدة البرد ، كما أن الماء لا يتوفر خاصة في ثكنات مطار »قندز« ومخيم الإمام البخاري ، حيث يواجهون صعوبات في جلب الماء ، فيضطر أحدهم أن يقطع مسافة ساعة ونصف مشياً على الأقدام ، لجلب الماء لشربه ، وبسبب هذه الصعوبات فإنهم

يؤدون صلواتهم الخمس بالتيمم ، حـيـث الماء فقط للشرب وصنع الطعام ، والناظر لأحوال هؤلاء المهاجرين يلحظ أن كثيراً مـنهـم لا يمـلـكـون سوي ثوب واحد ، وهو الذي فروا به من بلادهم ، كما أنك تجد معظمهم حفاة لا يملكون نعالاً ، وأما الناحية الطبية ، والرعاية الصحية بين هؤلاء المهاجرين ، فإنها تكـاد أن تـكـون معدومة ، حيث يعاني بعضهم الأمراض الناتجة من سوء التغذية ، والأمراض متفشية بـيـنـهـم لقلة الرعاية الصحية ، وبسبب ما عانوه خلال عبورهم النهر في فصل الشتاء القارص.

الكفاءات الموجودة لدى المهاجرين :

نجد غالب المهاجرين متعلمين ، بل كثير منهم أكمل تعليمه الجـامعي ، فيوجد بينهم المهندسون ، والأطباء بمختلف تخصصاتهم ، والمعلمون ، والكفاءات العلمية الأخرى من الرجال والنساء ، كما أنهم مستعدون للعمل إن تيسرت الظروف.

احتياجات المهاجرين :

القارئ لما ورد في هذا التقرير يدرك أن الحاجة قائمة في كل جانب من جوانب الحياة ، ويتمثل ذلك فيما يلى :

1 - تأمين الطعام ، والملابس ، والمحروقات.
2 - تأمين حليب الأطفال المجفف.
3 - تأمين الخيام ، والأغطية كالبطاطين ، وفراش النوم.
4 - حفر الآبار بواسطة الحفارات.
5 - بناء المساجد في المخيمات ، وتعيين الأئمة والدعاة بين المهاجرين ، مع فتح الخلوات ، والكتاتيب البسيطة لتعليمهم القرآن ، وأمور دينهم.
6 - طباعة الكتب ، والنشرات الإسلامية التي تبصرهم بأمور دينهم.
7 - الرعاية الصحية، وذلك بتـقـديـم الأدويـة والأجهزة الطبية، والوحدات الصحية المتكاملة فقط، حيث يوجد بينهم الأطباء والممرضون والفنيون القادرون على القيام بالأعمال المهنية.
8 - القيام بالـعـمــل الـتـعـليمي والتربوي خاصة وأنهم تنسموا عبير الحرية من براِثن الشيوعية ، فهم بحاجة ماسة إلى التعليم، وذلك ببناءِ دور الأيتام للرعاية وكفالة الأيتام ، وتقديم المواد التعليمية والتربوية، علماً بأنه توجد في ولاية » قندز « مدارس عديدة لم تتمكن الحكومة الأفغانية من الاستفادة منها، وتشغيلها لقلة إمكانياتها ، ويمكن الاستفادة منها لأبناء مهاجري طاجيكستان.

واقتراح مهم ، آمل أن يؤخذ بعين الاعتبار ، وهو :

اتخاذ كل الإجراءات الممكنة لنقل هؤلاء المهاجرين إلى منطقة أبعد من مركز » قندز « بسبعة كيلو مترات وهو واد يسمى ب »ميدان مير علم« يتسع لكل المهاجرين الموجودين في » قندز « و » طالقان « و » بدخشان « على أن يتخذ تدابير مهمة لحفر الآبار ، ونقل الأجهزة التي تقوم بذلك ، ولاتساع الوادي بإمكان المهاجرين أن يقوموا بزرع هذا الوادي ليخفف عنهم بعض المعاناة ،

وبالتالي نوجد حلاً للفراغ الهائل الموجود لديهم، ونشغل القدرات الفنية،والمهنية لدى المهاجرين.

ألبانيا
أدركوها قبل أن تفقدوها

عبد الرحمن العقيل

تقع ألبانيا في شبه جزيرة البلقان ويحدها من الشمال والشمال الشرقي جمهورية يوغسلافيا الجديدة (صربيا - كوسفو - الجبل الأســـود) ويحـدهـا من الشرق ماقدونيا ومن الجنوب الشرقي اليونان ومن الغرب البحر الأدرياتيكي وجزء مــن الـبـحــر الأبيض المتوسط وتقدر مساحتها بـ 28ر748 كيلو متر مربع تقريباً وعاصمتها تيرانا ويبلـغ التعداد السكاني فيها 3ر5 مليون نسمة نسبة المسلمين 85 % تقريباً و15% نصارى.

ويُعدُ الألبانيون من أقدم الشعوب الأوربية ويتميزون بلغة خاصة بـهــم لا يـتـكـلم بها أحد غيرهم.

وفـي أواخر القرن الرابع عشر الميلادي دخل الإسلام إلى ألبانيا حيث جاء العثمانـيـــــون وفتحوها ونشروا الإسلام في ربوعها وكان ذلك في عام 1385 م. وقد نالت ألبانيا استقلالها في عام 1330هـ وبعد نيلها الاستقلال بدأت محنتها الجديدة حين تسلم أنور خوجه زمام الأمور في البلاد لمدة 45 سنة هي عمر الحقبة الشيوعية من الفترة 14/12/1336هـ وحتى 9/18/ 1412 هـ إذ بقـيـت ألـبانيا في عزلة عن العالم الخارجي خلال تلك الفترة وأعلن الإلحاد رسمياً وحورب الدين فـهــدمــت المساجد حيث لم يبق من مجموع 1700 مسجد كانت موجودة في ألبانيا سوى 50 مسجــداً حولت إلى متاحف وورش للنجارة والحدادة ، وسُجن العلماء وقُتل بعضهم ومُنع إظهار أي شعيرة من شعائر هذا الدين.

وقام أنور خوجه بربط ألبانيا بالنظام الشيوعي تحت ظل الاتحاد السوفيتي ولكن في سنة 1380 هـ وقع خلاف عقدي بينه وبين خروشوف مما أدى إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وكل الدول السائرة في فلك الـــروس وهـكـــذا بقيت ألبانيا معزولة عن العالم الخارجي ، وتميز النظام الشيوعي في ألبانيا بتطرف عقدي منع بموجبه ممارسة أي لون من ألوان الشعائر الدينية.

وابتداء من سنة 1405 هـ بدأ الغضب الشعبي يتزايد إلى أن تم إسقاط النظام سنة 1412هـ عن طريق الانتخابات الأولى من نوعها في البلاد.

وبذلك انتقلت البلاد من الانغلاق الكامل إلى الانفتاح الكامل الأمر الذي أدى إلى التسيب الكامل حيث تسبب في تدمير المصانع والمرافق المحدودة التي كانت قائمة.

ونتيجة لذلك فإن ألبانيا تعيش الآن أزمة اقتصادية تحاول الحكومة الخروج منها بأي طريقة حتى أنهم أقاموا علاقات مع إسرائيل وتبادلوا الزيارات من أجل الحصول على بعض المعونات.
ويجرى هناك صراع سياسي عنيف بين الأحزاب يقابله استياء شعبي من كل الساسة الذين كثرت وعودهم ولم يفوا بشيء من هذه الوعود مما جعلهـم يعلقــون أمالاً كبيرة على الغرب وما يجود به من معدات قديمة وأدوية انتهت صلاحيتها للخروج من الأزمة.

الوضع الاقتصادي لألبانيا :

إن الزائر لألبانيا لا يصدق أنه في بلد أوروبي نظرا للحالة الاقتصادية الرديئة التي يعيشها البلد والشعب فالمواصلات غير كافية ، والطرق رديئة ومتطلبات الـحـيــــاة الضرورية غير متوفرة ، ولذلك تجد أن المصانع متعطلة والبطالة مرتفعة حتى أن الماء والكهرباء في انقطاع مستمر ليلاً ونهاراً والشعب الألباني أغلبه من الطبقة الكادحة.
ولذلك فإنهم اعتمدوا على ما يقدمه الغرب لهم وبخاصة إيطالـيـــا فهي تمولهم بكثير من المواد التموينية الضرورية. وبدأت تستغل مدخرات البلد الذي يُعدُ غنياً بالمعادن التي تقع عليها أطماع الغرب.
والوضع الاقتصادي الرديء في البلد له دور سلبي نتيجة للـضـغــوط التي يمارسها الغرب على الحكومة من خلال المساعدات المشروطة. والحكومة تحاول الخروج من هذه الأزمة بأية طريقة والدول الغربية حريصة على تقديم الدعم للحكومة من أجل تسييرها في فلكها مما يشكل خطراً كبيراً على عقيدة هذا الشعب واستقلاله وهويته وإليك مثالاً واحداً على ذلك :
لقد زار وفد من السوق الأوروبية المشتركة ألبانيا وتم الاتفاق مع وزير التعليم على أساس توأمة كل مدارس ألبانيا مع نظيراتها في أي قطر من الأقطار الأوروبية وتبني الصلة بين تلاميذ كل مدرسة مع نظرائهم في المدرسة الأخرى على أساس التوأمة الفعلية.
ويلاحظ من هذا شدة رياح التنصير التدريجي للشعب الألباني من خلال التعليم في مراحله المختلفة. فهم لم يستطيعوا اكتساح المسلمين عن طريق الكنيسة فـفـضـلـوا الانسياب البارد بهذا الأسلوب. ولقد لاقى هذا الخبر القبول عند عدد من مديري الـمــدارس تحت وطأة الظروف الاقتصادية الملحة لتحسين حال المعلم والطالب. وهذا بند من بـنـود الاتفاقية مع دول السوق الأوروبية المشتركة والتي لا يُعلم كثير من تفاصيلها وخفاياها وهــذا حدث في ظل غيبة الحكومات الإسلامية عن تقديم الدعم لهذا البلد المحتاج والذي يعــد كالسلعة فمن يقدم أكثر فهو الكاسب في هذا الميدان فالبدار... البدار.
وجـمـعـيــة اتحاد المعلمين المسلمين في ألبانيا يرون ضرورة قيام عمل مسبق قبل تنفيذ هذا القرار الذي سيبدأ في شهر صفر القادم ولا بد من الترتيب قبل بدء العام الدراسي الجديد.

ولابد أيضـــاً من استغلال موافقة وزير التعليم الألباني المبدئية على إمكانية تدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية في جميع المدارس إذا تم تمويل الكتاب والمعلم من قبل من يتولى هذا الأمر فلابد من التحرك الفوري السريع الذي يجعلنا نقف سداً منيعاً أمام هذا التيار الأوروبي النصراني.

المنظمات التنصيرية :

تعيش ألبانـيــا هذه الأيام حملة تنصيرية شرسة تحتاج إلى من يقف في وجهها ويصدها حيث توجد قرابة 83 منظمة تنصيرية تمارس أعمالها بحرية تامة فلقد وجدوا الساحة خالية أمامهم تماماً وفي ظل الفراغ الروحي والفقر المدقع والبطالة الكبيرة دخلت الأموال الغربية والـمـنظمات التنصيرية التي تسترت بدعوى الإغاثة الإنسانية ومساعدة الشعب الألباني فتدفـقـــت هذه الجمعيات لتلقي بكل قواها محاولة كسب أكبر عدد ممكن من الشباب المسلم فقدمت تسهيلات للعمل في كثير من الدول الغربية وقامت بطباعة الكثير من الكتب والنشرات التنصيرية ووزعت الصلبان وعُلقت على صدور الأطفال والنساء ، لذلك فهم لا يركزون عــلـــى بناء الكنائس وتشيدها بقدر حرصهم على من يدخل الكنيسة قبل بنائها ، كل هذا حدث في ظل غيبة المسلمين عن هذا البلد المسلم الذي ينتظر منا جهوداً مخلصة وجادة لإعادته إلى الإسلام ولقد سيطروا على وسائل الإعلام سيطرة تامة وخاصة التلفاز وبدأوا ببث البرامج التنصيرية التي تتحدث عن ما يسمونه المسيح المخلص وأيضاً قدموا البرامج التي تضـخـــم حـجـم المساعدات التي قدمتها المنظمات والدول النصرانية وشوهوا صورة المسلمين حيث صوروهـــم بأنهم هم الذين استعبدوا المرأة وقيدوا حريتها ووصفوهم بأنهم شهوانيون لا هم لهم إلا الزواج وتعدد الزوجات.
وترزح ألبانيا الآن تحت ضغط إعلامي غربي موجه حيث من السـهــولة الـتـقــاط الـقـنــــوات الأوربية الإباحية والتنصيرية.

ولقد تم توزيع الكثير من المنشورات التنصيرية على كل منزل بل على كل طالب حيث قام النصارى بإهداء طلاب المدارس حقائب تحتوي على بعض الأدوات الـمـدرسـيـة والنشرات التي تدعو إلى النصرانية ونسخة من الإنجيل وقدموا الصليب لكل طالب لتغريـب أبـنـــاء المسلمين.

ومن وسائلهم الماكرة التي يسممون بها أفكار الشباب إقامة الدورات لدراسة اللغات والتي يهدفون من خلالها إلى دس السم في العسل.

ولقد قامت إحدي المنظمات التنصيرية الأمريكية بكفالة دار للأيتام في العاصمة تيرانا فأيتام المسلمين بأيدي المنصرين ولا حول ولا قوة إلا بالله !!؟
وتنتظر ألبانيا هذه الأيام زيـــــارة مـــن بابا الفاتيكان وقد أعدت العدة لهذه الزيارة فعلقت اللافتات والشعارات الترحيبية ووزعت النشرات بأعداد كبيرة في مختلف أنحاء ألبانيا ، والمنظمات التنصيرية تعمل ليل نـهـــار لـلـتـمـهـيد والاستعداد لهذه الزيارة لأنهم يعلمون الأثر الذي ستتركه ، وسيقوم البابا بجولة في ألبانيا وزيارة المدن والقرى وتقديم بعض المساعدات للأسر

الفقيرة ناهيك عما سيقدمه للحكومة من أجل أن تكون له يد عليها وسوف تستغل هذه الزيارة من قبل البابا والمنظمات الـتـنـصـيـرية لصرف الناس عن الإسلام والإيحاء لهم بأنهم مهتمون بهم. وأعتقد أن هذه الزيارة سـيـكـون لها أثر سلبي على المسلمين في ألبانيا وستعزز ولاء الشعب الألباني للغرب لأنهم خــذلــوا من كثير من الدول الإسلامية التي وعدت بالكثير ولكنها لم تفِ بشيء من تلك الوعود. ولذلك لابد من تكثيف الجهود والقيام بحملة دعوية مخطط لها عبر الجمعيات الإسلامية الـقـائـمـــة هناك لمواجهة هذا المد الصليبي الحاقد ، ويقع على عاتق الدعاة المخلصين جزء من المسئولية للوقوف أمام هذه التيارات التي تهدف إلى مسخ هوية هذا الشعب.

المذاهب والتيارات الهدامة :

وبما أن الغرب الصليبي يسعى إلى انتزاع الإسلام من نفوس المسلمين فقد عَمِدَ إلى محاولة ضرب الإسلام من الداخل فصور الإسلام على أنه دروشة وجنون وأنه دين لا يصلح للحياة وذلك عن طريق دعم الطرق الصوفية المنتشرة هـنـاك والـتـي لـديـهـــا الكثير من البدع والضلالات وقد بدأت هذه الجماعات الصوفية تغزو فكر الناس وتصور الإسلام على أنه عبادة للأحجار وتوسل بالموتى فبنيت التكايا والمقامات وانتشرت الزوايا في أنحاء ألبانيا المختلفة وتنتشر هناك فرقة البكداشية ورأينا بعضاً من مواقعهم التي يتوسلون بها ولمسنا الأثر الذي تركته هذه الفرقة على الناس حيث عادت بهم إلى الجاهلـيــة الأولى فتوسلوا بالأموات واعتقدوا فيهم معتقدات باطلة. وهناك فرق منحرفة أخرى متفرقة في أنحاء ألبانيا لها مريدوها وأتباعها فـتـجــد التكايا والأضرحة في كل يوم تزداد رغم الفقر الذي يعيشه الشعب وهذا ناتج عن جهلهم بدينهم فهم يصدقون مثل هذه الخزعبلات.

دور العالم الإسلامي والمسلمين :

إن العالم الإسلامي ممثلاً في حكوماته وشعوبه وهيئاته الخيرية مطالب بالـوقــــوف فـي مـواجـهـــة الـمـد الصليبي الحاقد الذي اجتاح ألبانيا.
ومطالب أيضاً بتقديم كافة أنواع المساعدات العينية والمادية لهذا الشعب الذي تجرع مرارة الفقر والحرمان لفترة طويلة من الزمن وهذا الـشـعـب بحاجة إلى من يعيد إليه هويته وكرامته ويقع هذا الأمر على عاتق الدعاة المخلصين الذين يضحون بالغالي والنفيس في سبيل خدمة هذا الدين. إنها صرخة نوجهها إلى كل ضمير حي ، إلى كل من في قلبه غيرة على حرمات المسلمين وعلى دينهم وعقيدتهم في بقاع الأرض قاطبة.
إلى الشعوب الإسلامية إلى الجماعات والهيئات والمؤسسات الخيرية صرخة نطلقها علّها تحرك شيئاً في هذه القلوب فتقدم عملاً يعيد هذا الشعب إلى دينه فيكون ذلك نصراً وعزاً للإسلام والمسلمين.

كلمة في تقويم الرجال

خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين ، والصـــلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد :

فقد كثر الكلام وتقابلت الآراء في مـســألة دقيقة مهمة ، وهي : المنهج الصحيح في الكلام على الطوائف والأفراد والكتب.

وصار كثير من الناس في هذه المسألة على طرفين متباعدين :

الأول : من يرى أن العدل الواجب أن تُذكر الحسنات مع الـسـيـئات ويستدل على ذلك بأدلة يمكن أن يُستدل على رأي الطرف الآخر بمثلها أو أقوى منها.

وقـــد يرى هؤلاء أن الكلام إن عري من ذكر الحسنات فهو يدل على تحامل قائله أو كاتبه.

والـطـرف الآخــر :يُشنع على هؤلاء ويرى أن لا وجه لذكر الحسنات بل تُذكر المثالب فحسب ، إذ المقام مقام نقد.

ولا ريب أن موقف كل واحد من هؤلاء فيه نظر ، لأنه أطلق وأجمل والصواب في مثل هذه المسائل يلزم التفصيل الذي به تتبين كثير من الأمور.

قال ابن القيم - رحمه الله - :

فعليك بالتفصيل والتبيين فالـــــــ إطـلاق والإجــمـــــال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود وخبّطا الـــــ آراء والأذهــــــــــان كــــــل أوان

وحاصل الكلام في هذه المسألة هو أن الكلام في الآخرين له ثلاثة مقامات :

المقام الأول : وهو الذي تُذكرُ فيه الحسنات والسيئات. ويكون هذا في الحالات الآتية :

1 - إذا تعادلت الأقوال (أعني أقوال المجرحين والمعدلين) في الراوي ، فهنا يُذكر هذا وهذا.

2 -عند دراسة طائفة أو شخص أو كتاب أو منهج من المناهج يُذكر ما له ما عليه.

3 - حينما يكون القصد من الكلام مجرد الترجمة والتعريف فيذُكر ما للرجل وما عليه. وهذا واضح جداً في كتب التراجم.

4 - إذا كانت الكتابة موجهة للطائفة نفسها أو للرجل ذاته أو إذا كان له أتباع كثر ويُراد ردهم إلى الحق فعند ذلك يُذكر شيء من فضائل الرجل ومحاسن الطائفة كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لما كتب الوصية الكبرى لاتباع عدي بن مسافر.

المقام الثاني : وهو الذي تُذكر فيه الحسنات فحسب ويكون هذا في حالتين :

1 - إذا كان الرجل من أهل السنة وله من الفضائل ما يربو على سيئاته فلا وجه لذكر المثالب في مثل هذه الحال إلا إن دعت الحاجة إلى ذلك من أجل التنبيه حتى لا يغتر السامع بهذا القول. لكن لا يُذكر الغلط ليكون سبباً في التنقص من قائله. (أما ترى أن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث).
2 - في الكلام على الرواة إذا كان الغالب على الرجل التعديل وكان هو المختار فلا وجه لذكر أقوال المجرحين حينما نعرض للرجل بل يكفي أن نقول (ثقة) مثلاً .
المقام الثالث : وهو الذي يُذكر فيه الجرح فقط ويكون هذا في الحالات الآتية :
1 - في مقام التحذير. فإن الـمـطـلـوب هو ذكر ما ينفّر من المتكلم عليه وبالتالي لا تُذكر محاسنه.
2 - إذا غلب على الراوي الجرح وكان هو المختار فلا حاجة لذكر أقوال المعدلين.
3 - إذا كان الغالب على الطائفة أو الفرد الانحرافات والمخالفات التي تتضاءل معها حسناتهم فهم بحسب ما غلب عليهم.
هذه خلاصة القول - فيما أظن - في هذا الموضوع ويوجد من الأدلة والشواهد من كلام الله تعالى وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- وكلام السلف شيء كثير يدل على ما سبق. لعله يتيسر فسحة من الوقت فتبسط هذه المسألة بشكل أكبر مدعمة بشواهدها.
والله من وراء القصد.

مكتبة البيان

الإسلاميون وسراب الديموقراطية

تأليف : عبد الغني الرحال
عرض : أبو أنس

يـعـتــبـر الكتاب بحق إضافة هامة للمكتبة الإسلامية في حقل شديد الحساسية وهو شرعية دخـــول الإسلاميين للبرلمانات ، والموضوع وإن طرقه الكثيرون سابقاً وكتبوا فيه ، لكن كل ما كـتـب - فـيما أعلم - إما أن يكون تبريرات عاجلة في وريقات قليلة او اتهامات شديدة على عجل وقد نشر بعض منها في مجلات إسلامية في أوقات متفرقة.
وبالتالي فإن هـــذا الكتاب يعتبر الأول من نوعه في هذا المضمار حيث إنه دراسة أصولـيـة شرعية مستفيضة لمشاركة الإسلاميين في المجالس النيابية.
الكاتب يقرر ابـتـداء عـتــدم الموافقة على دخول الإسلاميين البرلمان ثم هو ينقد الإسلاميين المجلسيين كـمـا يسميهم فـي إجازتهم لأنفسهم الدخول فيه من دون دراسة لحكم الدخول في تلك المجالس دراسة شرعية متعمقة.

ويقوم الباحث بجمع كافة المبررات والمسوغات التي يحتج بها هؤلاء الإسلاميون وبالأخص قضية المصلحة ثم يفندها بنداً بنداً مؤصلاً لمبدأ مهم وهو أن المشاركة في هذه البرلمانات هو تأصيل لواقعها المخالف لدين الله دستورياً وقانونياً.
والكاتب بذل جهداً مضنياً ومستفيضاً في دراسته التي استغرقت - كما يقول - سنين طويلة.
وتبدأ الدراسة بمقدمة ضافية تمثل دراسة نقدية موجزة للواقع المعاصر وموقف الجماعات الإسلامية منه ، وهي مقدمة رائعة - حبذا لو نشرت مستقلة - ثم يتبعها ثلاثة أبواب بفصولها ومباحثها المتعددة وهي كالتالي :

الباب الأول : الديمقراطية ، وفيه فصول :

- النظام الديمقراطي.
- مصلحة الأنظمة الحاكمة من النظام الديمقراطي.
- مصلحة الإسلاميين المجلسيين من النظام الديمقراطي.

الباب الثاني : المجالس النيابية ومقاصد الشرع ، وفيه مباحث ؛

* الاندراج في مقاصد الشرع ، وفيه فصول :
- مصلحة تحكيم الشريعة.
- مصلحة الإصلاح.
- مصلحة عدم تمكين أعداء الله من الانفراد بالسلطة.
- مصلحة نشر الدعوة.
- مصلحة الدفاع عن حقوق المسلمين في العالم.
* عدم المعارضة للكتاب والسنة ، وفيه فصول :
- حق التشريع.
- تضييع حدود الولاء والبراء..
- تثبيت أركان الأنظمة المتبرقعة بالديمقراطية.
- تضييع المنهاج النبوي في طريقة تغيير الواقع الشركي إلى واقع إيماني.
- التلبيس على المسلمين في عقيدتهم من خلال إضفاء ثوب إسلامي على أنظمة غير إسلامية.
- الرضا بواقع الأنظمة الديمقراطية.
* عدم المعارضة للقياس ، وفيه فصلان :
- القياس..
- وقفات مع استدلالهم بالقياس.
* عدم تفويتها مصلحة أهم منها أو مساوية لها ، وفيه فصول:
- إجمالي المصالح التي تضيع بمشاركة الإسلاميين في المجالس النيابية.
- ميزان النظر في المصالح.

الباب الثالث : مصالح متوهمة أمام أبوب مغلقة ، وفيه فصول :
- عدم اندراجها في المصالح المرسلة.
- عدم اندراجها في باب سد الذرائع.
- عدم اندراجها في باب الضرورة.

يخـتــم الكاتب بحثه بخلاصة موجزة لأهم النتائج التي حصل عليها ويقول إن النتيجة النهائية التي يُخرج بها من هذه الدراسة أن الإسلاميين المجلسيين اختطوا بمشاركتهم في المجالـس النيابية منهجاً في التغيير مخالفاً لمنهج الأنبياء في ذلك ، متجردين عن الدليل الشرعي ، مما أدى إلى إضاعة الجهود الكثيرة في غير ما طائل ، فضلاً عن صرف الأنظار عن المنهاج النبوي في مواجهة الملأ وتغيير الواقع الشركي إلى واقع إيماني ثم يقول : »وبصوت عال أدعو الإســـلاميين المشاركين في المجالس النيابية أن ينسحبوا منها ويوظفوا جهودهم لصالــح خدمة الإســـلام وفق منهاج الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأن يبينوا للناس حقيقة تـلـك المجالس بـعـد أن عـرفــوها من الداخل وعرفوا أساليبها في الوقوف في وجه أي مشاريع إسلامية جادة«.

وأخيراً فالكتاب جدير بالقراءة ، مع التركيز والتمعن فالكتاب عميق في طرحه دقيق في معالجته.

الهوامش :

* الكتاب صدر حديثاً (1413) عن مؤسسة المؤتمن للنشر والتوزيع - السعودية في (536) صفحة من القطع الكبير ، ويمثل الجزء الأول ، ويليه مستقبلاً الجزء الثاني عن التجربة المصرية والسورية..

في دائرة الضوء

الشيوعيون والوظيفة الجديدة

د. محمد يحيى

من الظواهر الثقافية التي تستحق الــرصــــد أو عـلــى الأقــل التسجيل في العالم الإسلامي وبالذات البلاد العربية في الفترة الأخيرة ذلك الدور الذي أنيط بنفر من الشيوعيين أو أنهم سعوا إليه في منظومة التصدي للحركات والفكر الإسلامي إن نجـم النخب الشيوعية الذى علا وتألق في سماء عدد من البلدان العربية في الأربعينات وحتى الستينات قد خبا وأفل في السنوات الأخيرة ، ولا يرجع ذلك فحسب إلى تدهور وسقوط التجارب السياسية الشيوعية فيما عرف بالاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية بل إن هذا السـقـــوط للشيوعية المحلية كان قد بدأ قبل سقوط الشيوعية الدولية بعد فشل طروحاتها المحلية وبـعد ثبوت تواطئها مع مجمل النخب العلمانية الحاكمة وبعد تخليها عن العديد

من مواقفـهـا وشعاراتها التي أعلنت فيها الانحياز للجماهير الكادحة وتغيير المجتمع إلى الأفضل وما شـابــه ذلك من الأهداف.
إن القضية المحيرة التي ظهرت في الأعوام الأخيرة وشغلت بالعديد من الكتاب الصحفيين تمثلـت في سؤال مهم هو : لماذا سقطت الشيوعية في روسيا وأوروبا الشرقية وغير ذلك من أنحـــاء الـعـالـم بينما ازدهرت فجأة في عدد من البلدان العربية في وقت كان فيه الجميع يتحدثون عن ذبولها؟
والواقع أن هذا السؤال وبصياغته هذه بحاجة إلى توضيح وتحليل. إن السقوط الذي حدث في أوروبا الشرقـيــة وغيرها كان في المقام الأول سقوط أنظمة سياسية واجتماعية واقتصادية شيوعية لأسباب داخـلـيـة وخـــارجـيـــة مـتـعـــددة سبقه فشل الفكر الاشتراكي النظري والأيدلوجية الماركسية التي كانت تستند إليها تلك الـنـظــم. وقـــد بادر بعض المحللين المدافعين عن النظرية الماركسية إلى التمييز بين الأنظمة والتجارب الشـيـوعية من ناحية ، التي اعترفوا بفشلها ، وبين الفكر الاشتراكي كفكر اجتماعي سياسي اقتصادي من ناحية أخرى الذي أقروا بتعرضه للفشل إلا أنهم رأوا أنه ممكن تعديله لـمـواجـهـــة الظـــروف الاقتصادية العالمية الجديدة وهي سيادة النظام الرأسمالي الغربي ومعه فلسفاته المميزة مــن ليبرالية وبراجماتية ويمينية وغيرها. كذلك ميز المدافعون بين النظم والتطبيقات الشيوعية - الاشـتـراكـية من ناحية وبين الفكر الماركسي من ناحية أخرى فبينما رأوا أن الأولى قد فشلت وتهاونـت زعموا أن الأخير مازال حيا وصالحاً وأنه قابل للتطور والتكيف ليتمشى مع التطورات العالمية. وذهب بعضهم إلى أنه إذا كانت الماركسية كفكر قد ثبت خطؤها في معظم تنبؤاتها وتفاصيلها التحليلية إلا أنه تبقى مبادئها العامة ومستوياتها النظرية العليا الصالحة لتكـــون إطار نظر فلسفي في شتى جوانب الحياة أي أنه إذا كانت الماركسية قد فشلت كعلم كـمــا كـانـت تزعـم لنفـسـهـا إلا أنها لم تفشل كفلسفة أو كدعوة أيدلوجية »أخلاقية«!! أو كإطار. نظري لتحليل المجتمع وفهم ووضع بعض الطرق والبدائل أمامه. ويذكر أن الذاهبين إلى هذا الرأي الذي يحول الماركسية من عقيدة ثورة وتغيير للمجتمع إلى فكرة فلسفية تأملية كانوا من الغرب ومن الـمفكرين والأساتذة في معاهد البحث والجامعات بأوروبا الغربية وأمريكا الشمالية حيث أصبحـت تسود الآن في دوائر معينة تلك الفلسفة الماركسية (وليس الشيوعية أو الاشتراكية) المنقحة.
هذا عن مجمل التطور الحادث في الغرب أما فـي الـبـلـدان الإسلامية ونحن نركز هنا على البلدان العربية ، فقد فشلت أيضاً الأنظمة الحاكمة التـي إن لـم تـكـــن شيوعية معلنة - باستثناء ما كان في اليمن الجنوبي أو بعض فترات الحكم في العراق أو السودان أو مصر - إلا أنها تبنت ما وصف بالاشتراكية في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ومع فشل هذه الأنظمة الحاكمة من خلال الهزائم الخارجية العسكرية وتفاقم الأزمات الداخلية انهارت

أحزابها الأحادية وسقطت معها الأحزاب الشيوعية ، المعلنة وشبة المعلنة ، التي كانت تساندها بالدعم السياسي والمعنوي والدعائي الفكري. وسقط كذلك الفكر والبرنامج الاشتراكي ولا سيما في المجال الاقتصادي والاجتماعي. لكن هذا السقوط لم ينسحب على النخب الشيوعية الفكرية والثقافية والإعلامية وبعض النخب السياسة التي كانت خلال فترة الأنظمة الاشتراكية قد نجحت في التخندق في العديد من المؤسسات السياسية والاجتماعية كالنظام السياسي الحزبي والإعلام والتعليم الجامعي والثقافة بل وبعض هيئات صنع القرار على المستويات العليا كوزارات الخارجية والمكاتب الرئاسية الاستشارية وما شابهها.

ونشأ في البلدان العربية خلال الثمانينات وضع محدد غريب يتمثل فـي وجـــود نخب شيوعية قوية في مواقع مؤثرة ولكنها تسبح في شبه فراغ بعد سقوط الأنظمة الدولـيـــة أو ضعفها التي كانت تستمد منها الدعم والقوة المادية والمعنوية وتعمل من خلالها وفي سياقها وبالإضـافـــة إلــى ذلـك فـــــإن الرسالة- الاشتراكية الشيوعية ذات المحتوى السياسي والاقتصادي التي كانت هذه النخب تروجها من خلال مواقعها وتعاونها مع الأنظمة قد فقدت مصداقيتها وسقطت هي الأخرى تاركة النخب بدون محتوى أو رسالة سوى ذلك الكم من الفكر الماركسي النظري الذي وجد لنفسه فرصة حياة داخل نطاق الفلسفة الغربية العلمانية التي احتضنته كأحـــد روافدها المتعددة. لكن المشكلة التي واجهت هذه النخب الشيوعية المحلية تمثلت في أن جل أفرادها لم يكونوا من المثقفين حقيقة أو الفاهمين أو حتى المطلعين على هذا الفكر الـمـاركـسـي لأنهم كانوا يعيشون على فتات نظري محدود متمثل في بعض الشعارات والشذرات ألـقـيـت لهـم من الكتلة الشرقية البائدة في سنوات سابقة من التلقين والترويج والدعاية العقائدية الفـجــــة. ومــن هنا انطبق على النخب الشيوعية المحلية قانون البقاء للأصلح وتعرضت لمزيد من الضعف ليس فقط لانفصالها عن الأنظمة الحاكمة المغذية لها ولا عن الكتلة الاشتراكية الأم بــل لأنها كذلك لم تكن تتقن صنعة الفكر الماركسي النظري الذي تبقى بعد الانهيار العظيم.

ولكن وسط هذا الركام من التدهور والفوضى تجمعت عناصر قوة معينة أو لعلها »عوامل حظ« لتنقذ هذه النخب. أول هذه العوامل هو أن انفصال النخب الشـيـوعية المحلية في الظاهر عن دعم وقوة الأنظمة السياسية الحاكمة محلياً أو دولياً مع انهـيــار هذه الأنظمة ومعها الحركة الدولية الشيوعية قد أزال أو أضعف عنصر الخوف والقلق والتوجس الذي كانت دوائر محلية عديدة حاكمة وعلمانية ومتغربة ، تنظر به إلى تلك النخب. فقد انتهت مثلاً نظرية الخطر السوفيتي وخطر نخب الشيوعية كعملاء وطلائع للسوفـيـت وانتهت نظرية خطر الثورة العمالية وغيرها من الأخطار التي كانت هذه النخب تمثلها وأدى هذا الوضع إلى إزالة أي تحرج من التعامل مع النخب الشيوعية لا

سيما فى حالة ضعـفـهـــا المادي والمعنوي وإفلاسها وخوائها وفشلها الفكري الواضح لقد تحول الثعبان الضاري فـجـأة إلى حيوان أليف منزوع الأنياب والسم.
وعـنـصـر القوة الثاني هو ذلك الالتقاء الذي يبدو غريبا لكنه منطقي وطبيعي الذي حدث بين النخب الشيوعية وبين الدوائر النافذة والسياسات الغربية في المنطقة. لقد نشأ الجميع في العقود السابقة على فكرة أصبحت أشبه باليقين والبديهيات مفادها أن الغرب لا يعادي ولا يواجه إلا الخطر الشيوعي في المنطقة العربية رغم أن المواجهة الغربية كانت دائماً وفي الحقيقة مع الإسلام.
وأيا كانت الحــال وأيا كان خطر هذا التصور فقد استمر مهيمنا على الأذهان لكن السقوط الواضح لنظـــرية الخطر الشيوعى وظهور نظرية الخطر الإسلامي لدى الغرب كان بمثابة صك البقـــاء للنخب الشيوعية. فمن ناحية كانت هذه النخب أمام الغرب مجموعات من المثقفين منزوعة القوة وبلا دور واضح في المجتمعات العربية التي توجد فيها ، ومن ناحية أخرى كانت أفكار بعض أفرادها الماركسية تلقى القبول في الفكر الغربي المعاصر باعتبارها أحد مكونات هـــذا الفكر وجذوره وكذلك باعتبارها فاقدة للطابع الثوري المعادي للغرب الذي كان يميز شعاراتها المرفوعة في وقت سابق. وبجانب ذلك كانت تلك النخب وبرغم عوامل الضعف الـمـتـعـــــددة التي أشرنا إليها تحتفظ بمواقعها الوظيفية والمؤثرة داخل المؤسسات السياسية والاقتـصـاديـة والثقافية وهى فوق أي شيء آخر تبحث عن دور أو وظيفة جديدة تتناسب مع مؤهلاتـهــا. واجتمـعـت كل تلك العوامل لتجعل من التعامل الغربى مع النخب الشيوعية المحلية أو ما تبقى مـنهـــا أمرا مرغوبا بل مطلوبا في ظل سيطرة نظرية الخطر الإسلامي على التفكير الغربي وإزاء »مؤهلات« هذه النخب من ناحية الموقع الوظيفي المؤثر الموروث من عهود سابقة وامتلاكها لفكر يحظى بالقبول الغربي العام.
ونقطة الفكر هذه مهمة للغاية في تفسير عنصر القوة الرئيسي الثالث لهذه النخب ألا وهو الالتقاء والاندماج مع مجمل النخبة العلمانية في العالم الـغـربي بل والوصول إلى زعامتها وزيادتها وتوجيهها. إن النخب العلمانية المتغربة في العالم الـعـربي كما في مجمل العالم الإسلامي قد تأسست على الفكر الليبرالي الذي صيغ صياغة خاصـة ركزت على جوانبه اللادينية وليس الديمقراطية ، وكان ذلك أمرا طبيعيا في عهود الاسـتـعـمــار ومـا له من حكومات محلية. وعندما ورد الفكر الشيوعي والماركسي إلى البلاد الإسلامية من خــلال دعايات الكتلة السوفيتية أو من خلال التعامل من عدد من البلاد الغربية على المستــوى الثقافـي والأدبي والجامعي فإنه برغم احتوائه على عنصر العداء للدين والإلحاد إلا أنه طرح في شكل سياسي ثوري أوجد قطيعة مع سائر عناصر النخب العلمانية صاحبة النفوذ والمتأثرة بالفكر الليبرالي

والبراجماتي الغربي وتفريعاتها. وهكذا عانت النخبة العلمانية في البلاد العربية من انقسام بين عنصريها اليميني والأوسط من ناحية واليساري الماركسي من ناحية أخري ، وهو انقسام أضعف من أفاقها إلى حد كبير وكان انقساما تقع خطوطه على السطح فـقــط أي فـي الـمـواقف السياسية والاقتصادية والتكتيكات بينما كان الجميع في المستويات الأبعد عمقا والأكثر نظرية يشتركون في الموقف العدائي نفسه الناقد للإسلام من منظور فلسفي ثقافي واحد هــــو منظور علمانية الغرب المشكلة في فكر عصر النهضة وعصر التنوير هناك قبل ظهور الماركسية بزمن بعيد وهى على أي حال بنت هذه العصور مثلها في ذلك مثل الليبرالية والبراجماتية وغيرها من المذاهب الغربية الكبرى.
لكن التحول الخطير الذي طرأ على النخب الشيوعية في السنوات الأخيرة قضى على هذا الانقسام وفتح أبواب الوحـــــدة والتكاتف بين مكونات النخبة العلمانية العامة مرة أخرى بعد أن كان الشيوعيون أو الماركسيون قد ناصبوا الطرف الليبرالي العداء من موقع الإحساس بالقوة وموقع احتكار التعامل مـــع الأنـظـمـة الحاكمة. وتمثل هذا التحول الخطير في هذا الصدد في سقوط الفكر الشيوعي والاشتراكي الثوري في جوانبه الاقتصادية والسياسية التي كانت تعتبر حد الانقسام أو الحد الفاصل بـيـن الـمـكـونـيـــن الماركسي والليبرالي للنخبة العلمانية. ولم يبق من الفكر الشيوعي سوى المكون الماركسي الثقافي النظري الفلسفي الأصلي الذي يلتقي مع الفكر الليبرالي في جذر أساسي هو العلمانية والنـظـــرة الناقـــدة والرافضة للدين. وهكذا وبعد تعرية النخب الشيوعية من أسباب القوة السياسية ومن أقـســام رئيسة وواسعة من أفكارها أصبحت مؤهلة وراغبة في الانضمام إلى عموم النخبة العلمانية المتغربة تلتمس فيها القوة والبقاء من خلال التضامن السياسي كما تلتقي معها في المكون العلماني الفج والصارخ وفي العداء للدين (الصاعد نفوذه) بعد زوال الكم الفكري »الكم الاشـتــراكي الثوري« الذي كان يميزها ويفصلها عنها.
لكن الشيوعية العائدة إلى صف النخبة العلمانية المتغربة العام كانت تمتلك سبباً آخر للقوة ، هو العنصر الرابع في تحليلنا هذا ، لا تمتلكه سائر مكونات النخبة ألا وهو امتلاكها لتحليل مطول ونقدي لظاهرة الدين (المسيحي بالذات) بالإضافة إلى سبق خبرتها الواسعة خلال الخمسينات والستينات في الحرب الفعلية والمواجهة الميدانية للتيارات الإسلامية على المستوي الفكري والسياسي. وفي الواقع كانت هذه الورقة الرابحة أو عنصر القــــوة الحقيقي الذي يميز النخبة الشيوعية في نظر السياسة الغربية مؤخراً وأيضاً في نظر الدوائر السياسية الحاكمة الجديدة والتى خلفت الأنظمة التى سبق أن تعاونت النخبة الشيوعية معها ضد الإسلام صحيح أن الليبرالية علمانية التوجه وأنها تمتلك هي الأخرى تحليــلاً نقدياً للدين تضخم في العقود الماضية كثيرا لكن

هذا التحليل ليس جذرياً أو متخصصاً. مما فيه الكفاية كما أن الدوائر الليبرالية والمصاحبة لها في العالم العربي بالذات لا تمتلك مثل هذا التحليل لأنها ركزت في الفترة الأخيرة على الجوانب الاقتصادية بالذات (سياسات الانفتاح الاقتصادي والخصخصة وتنفيذ برامج المؤسسات المالية الدولية - الخ) أكثر من تركيزها على نقد الدين ومواجهة أفكاره وفوق ذلك فإن الخط الليبرالي العلماني العام كما تطور في العالم العربي لم ينشأ في الغالب علاقة تصادمية مع الدين بالدعوة إلى الإلحاد أو رفض العقيدة والطعن فيها وفي الشريعة وفي النصوص الدينية كما فعل الشيوعيون في أوقات سابقة وكـمــا يفعلون الآن ولهذا كانت النخبة الشيوعية أقوى من سائر مكونات النخبة العلمانية المتغربة في جانب التصدي للفكر الديني (الإسلامي وحده) الذي أصبح يلح الآن علـى الــدوائر الغربية والأنظمة السياسية الحاكمة الآن في العديد من البلاد العربيـــة والإسلامية.

لقد تضافرت عـنـاصــــر القوة الأربعة هذه وتجمعت في نسيج واحد لتؤدي إلى ما يسميه بعضهم بالازدهار الظاهري الذي تمر به الشيوعية على المستوى السياسي الرسمي العربي في وقت كان يفترض فيه وفق منطق الأشياء أن تذوي وتذوب.

إن أحزابا شيوعية تقام هنا وهناك في وقت تلغى فيه الأحزاب الشيوعية الكبرى في شرق وغرب أوروبا وتغير أسمــاءهــا خجلا وعارا رغم طول تاريخها. وفي بلادنا العربية تنشأ الصحف والمجلات ودور النشـــر والـمـنـتـديات والتجمعات الشيوعية الثقافية والأدبية والنسوية بشكل شبه يومي في الأعوام الأخيرة. ويقفز دعاة الشيوعية السابقون والذين كانوا قد سقطوا وأفلسوا فكريا إلى مواقع الوزارة والـصـدارة في شتى المؤسسات ويناط بهم تشكيل النظام التعليمي وتكوين الرأي العام من خلال وسائل الإعلام والتأثير في محتوى ومضمون الثقافة والفكر في المجتمعات ككل ويرسمون الـسـيـاســات الاقـتـصــادية ويضعون القرار السياسي. لكن كل هذا النشاط ليس ازدهارا طبيعيا بل هو تحرك مصنــوع ومدبر ومفتعل بقرار علوي من السلطات الحاكمة وبمباركة وتوجيه حاسم من جانب الــدوائــر الغربية السياسية المؤثرة ومعها المؤسسات المالية الدولية والحركات الكبرى كالصهيونية والعلمانية والصليبية كذلك. وهذا الازدهار المصطنع والخطط المحكوم يجيء لكي تؤدي الـنـخـبــة الشيوعية دور التصدي لصعود قوة الإسلام.

إن الصورة الفعلية التي تواجهنا هي صورة نخب سقطت وأفلست وصارت تبحث عن دور وعندما عرض عليها هذا الدور في التصدي الفكري لتيار الإسلام سارعت بانتهازية معهودة إلى العض عليه بالنواجذ ولم تفلته لأنه فرصتها الوحيدة في البقاء. وإذا كانت هذه النخبة قــد مـارســت التصدي والهجوم على الإسلام في عقود سابقة إبان فترات قوتها النسبية وجدتها ولحساب

الأنظمة الاشتراكية الدكتاتورية التي تحالفت معها فإنها تمارسه الآن من موقع الضعف والإفلاس الفكري والذيلية المطلقة لأنظمة علمانية متغربة وديكتاتورية أيضاً وتمارسه باضطرار من يغرق ويريد النجاة بأي ثمن وليس بحنكة من يريد أن يؤدي دورا في لـعـبــــة القوة والسلطة له منه نصيب.
والصورة التي تواجهنا ليست صورة تيار سياسي فكري يستعيد أو يواصل عافيته بل هي صورة التقاء مصالح ومخططات أقرها لنا الدور الشيوعي الجديد على امتداد الساحة العربية. فهناك نخب ساقطة ومنتهية لكنها تملك فقط توزيعا جغرافيا ومناخيا وبقايا فكر معاد للدين ومتخصص في مواجهته بسابق الخبرة وهى تبحث باستماتة عن دور يحفظ وجودها ، وهناك على الناحية الأخرى دوائر غربية ومحلية مـؤثـرة وحـاكـمــــة تبحث بإلحاح عن طرف يؤدي مهمة ضرب الإسلام والتصدي لفكره على أن يكون مؤهـــلا لذلك وعلى ألا يكون من القوة أو الإمكانية بحيث يخرج من طور التابع الذيلي العميل إلى دور الفاعل المستقل بالرأي والمصلحة.
هذا الالتقاء أو هذا البحث المزدوج هـــو الذي أخرج لنا الدور الشيوعي الجديد في العالم العربى في سياق من العناصر والعوامل التي أشرنا إليها آنفا.
ولكن الدور الشيوعي الجديد في خط الدفاع ضد الإسلام يجرى على حساب ما تبقى من صورة النخب الشيوعية ودعايتها لنفسها وشعاراتها.
فالنخبة الآن لا تنشغل إلا بشيء واحد فقط هو الهجوم والمزيد من الهجوم على الإسلام وهي بذلك تؤدي وظيفتها بأمانة تـحـســـــد عليها ولم تعهد فيها من قبل وتتلقى الثمن المناسب ماديا ومعنويا بتوزيع الحقائب الــوزاريــــــة والمغانم المادية والظهور والشهرة الإعلامية. ولكن الانغماس الشيوعي شبه التام في التـصـــــــدي للطرح الإسلامي يجعل الشيوعيين مكشوفين مفضوحين أكثر مما كانوا أمام الجماهير التي ما عادوا يثبتون أيا من قضاياها ومشاكلها السياسية والاقتصادية بل على العكس يهاجمون عقيدتها. إن الشيوعي النمطى يقف الآن بورجوازيا محترما يدافع عن القطاع الاقتصادي الخاص والملكية الفردية والقيم الغربية الليبرالية كما يقف محافظا رصينا يدعو إلى الاستقرار والسكينة في ظل نظم شمولية ويبشر بالتعاون مع الغرب (الاستعماري سابقا) وبالتحـــــالف مع اليمين المحلي والعالمى في وجه الخطر الإسلامي ويرحب بالصهيونية وإسرائيل كـشـريك في صنع التقدم المستقبلي غير الإسلامي في المنطقة كما يرحب بالصليبية الدولية والمحلـيـــــة باعتبارهما حلفاء في وجه العدو المشترك أي الإسلام. وهو ينسى كل الشعارات القديمة عـــــن الثورة والجماهير الكادحة والاستغلال الاقتصادي الطبقي وهبة القوى العاملة ولا يعود إلـيها ، وإن عـــــاد فــإنه يستخدمها فقط ضد الإسلام الذي اخترع له ألفاظ الظلامية والسلفية والأصولية ليشوه صورته بها. هذا الشيوعي النمطي إذن وهو يؤدي الدور الذي أنيط بقومه يخاطر بفقدان البقية من ورقة التوت التي تغطي العورة لأنه

يتحالف وبشدة مع من كان حتى الأمس القــريـــب ينعتهم بالأعداء سواء على المستوى المحلي أو العالمي وهو كذلك يتخلى عن الدور السـابــق الـمـزعـــوم كمعارض صلب ومناضل يضحي من أجل مصالح الكادحين.
إن الوضع الجديد للنخبة الشيوعية في العالم العربى وفي العالم الإسلامي على نطاق أوسع بحاجة إلى تدبر وتحليل حاولت هنا أن أضع معالمه الأساسية. والخلاصة التي أتـوصــل إليها ويتوصل إليها أي تدبر موضوعـــي هي أننا أمام حالة من حالات السياسة الثقافية التي توظف مجموعة انتهازية من المثقفين في أداء مهمة الهجوم بوسائل فكرية وإعلامية متعددة على تيار معين (الإسلام) لحساب قوى خارجية وأخرى محلية تريد التخلص من هذا التيار لأنه يناقض طروحاتها العـلـمـانـيـــة ومصالحها السياسية في الحكم والسيطرة واحتكار السلطة وانتزاع المجتمعات الإسلامية من دينها وعقيدتها بل تاريخها وهويتها.
إن ما يحدث على الساحة الفكرية الآن وفي بلدان عربية كثيرة هو أبعد ما يكون عن مجرد تطورات فكرية وثقافية جريئة أو كما يصوره بعضهم من تصد لما يسمى بالإرهاب والتطرف المنسوب للإسلام وحده.
إنما يحدث هو استراتيجـيـة موضوعة بعناية لـتـتـكـامــل مع استراتيجيات أخرى أمنية وسياسية واجتماعية لكي تـضـرب جذور الإسلام. ودور الـنـخـب الـشـيـوعـيـة فـي هــذه الاستراتيجية هو دور المنقذ البـاحـــث عن دور والمعَّين لدي أصحاب المهمة الباحثين عمن يقوم لهم بهذا الدور.

منتدى القراء

إلي إخواننا العرب المسلمين

أسامة أمين الطيب (الفلبين)

أيها الأخوة الأعزاء :

إن القلوب دائما معلقة بكم وإن الـعـيــون لـتـنـظر إليكم وإن الآمال معلقة بكم بعد الله جل جلاله لما لسلفكم الصالح من الفضل العظيم والأجر الكبير في هدايتنا بإذن الله إلى هذا الدين القويم بعد أن كنا كغيرنا شبه حيوانات يأكل ونـشـرب ونتناسل ونعبد الأوثان وأنقذنا الله بفضله ومنته ثم بفضل أولئك الذين قطعوا الفيافي والفجاج بين الأخطار المحدقة من أمواج البحار وهوامه وقراصنته ، يهلك. إن ذلك يعني تحمل العبء الكبير في حمله وإبلاغه ثم أدركوا معنى الآيات الأخرى بإبلاغه والدعوة إليه وأن ذلك أمـــر واجــب التنفيذ وعرفوا معنى التقصير فيه والحساب عليه ثم علموا علم اليقين عظيم الأجر والثـواب لمن قام بهذه الدعوة لأنها أهم وظيفة في الحياة فهي وظيفة الأنبياء والرسل ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الـدين ، إذ أن هذه أمور تقتضي التضحية بالغالي والنفيس وكل ممتلكات الـحـيــاة مـــن ماديــات أو

معـنـويــات أو طاقات علمية أو عملية وتعلمون ما فعلوا وحق لهم ذلك الفعل والفوز بالأجر والثواب لـمـا أحــدثـوا من أثر فعَّال في هذه الجزر حيث أنقذوها من براثن الشرك إلى هدى الإسلام.

أيها الأخوة الأعزاء :

مع اعترافنا بجميلكم في مؤازرتنا في هــذا العصر الحاضر بالمساعدات المادية والمعنوية منذُ بدء اليقظة الإسلامية الجديدة إلا أننا نعتبر أنفسنا وإياكم مقصرين تقصيراً كبيراً تجاه هذا الدين العظيم وما يجب له من الدعوة والإبــلاغ فنحن وإن كنا قد أخذنا في الدعوة إلى الله وأنشأنا المؤسسات التعليمية والتربوية باللـغــة العربية وعلى مناهج البلاد العربية ومنهج السلف الصالح بجهودنا الضعيفة ومساعدتـكـم بالإمداد المادي والمعنوي مما ساهم في نشر اللغة العربية للتعرف إلى الإسلام من خلالها مباشرة والارتواء من معينه الصافي وقد اهتدى الكثير وأسلم كذلك من الوثنيين والنصارى الكـثـيـر ، إلا أننا نعتبر أن هذه جهود ضعيفة وأعمالاً هزيلة ، إذا قورنت بما يجب علينا جميعاً وبما نملك من الوسائل الآلية مما يلزم من تبليغ دين الله والدعوة إليه في كل دار وفي أي موقع وبأقصى سرعة.
ألا يعتبر عملنا هذا تقصيراً كبيراً في حق أنفسنا وديـنـنـا؟ بلى والله! ومن جانب آخر إذا رجعنا إلى تعليمنا ومدارسنا نجدها تقوم في الدرجة الأولى علـى رسوم طلابها الفقراء أو ما يتبرع به بعض الفقراء أو مستوري الحال؟ لا الأغنياء... وتسير الهوينا بشكل مزرٍ فالكتاب المدرسي الذي هو عماد التعليم لا يوجد إلا بالنقل من اللوح - السـبــورة - أو تصويراً لمن يجد قيمة الكتاب... ومباني المدارس معظمها من القش والأخشاب والـزنـك وبالإضافة إلى سوء مظهرها فإنها لا تصمد أمام مياه الأمطار ولا تحمى طلابها. والمدرســـون معـظـمـهـم متـطـوعون أو بمكافآت رمزية والواحد منهم يدرس درساً ويترك الآخر ولا عليه من سبيل مادام مـتطـــوعاً... والمراجع الإسلامية شبه معدومة ، ورب الأسرة قد يدرس واحداً من أبنائه أو أكثر أو لا يدرسهم بالكلية لأنه قد لا يجد النفقات الدراسية من رسوم أو أدوات مدرسية.
وهكذا يسير تعليمنا الإسلامي بخط متعرج ، ومع هذا له أثر كبير مع ضعف ما يقدم له من إمكانيات ماديــة أو معنوية وذلك فضل من الله ونعمه لا من جهود البشر المقصرين. بينما غير المسلمين نجـــد لهم في كل حي أو قرية مدرسة على الطراز الحديث مجهزة بالمعلمين والكتب والوسائل الـمـدرسـيـــة وحتى وسائل العلاج وتستميل أبناء المسلمين بالإغراءات والعروض المادية فتعطيهم الكتب والمواد المدرسية مجاناً بل واللباس والعلاج ، وفي بعض المواقع تعطي لأهلهم بعض الأطعمة والملابس ، وفي مواقع أخرى تهيئ لهم المساكن للعائلة بكاملها مقابل تمكينهم واحداً فقط من أبنائهم في مدارسهم لينصروه أو يمسخوا شخصيته الإسلامية فيكون حربة ضد الإســـلام فيما بعد وحتى الجبال العالية التي لا تصل إليها السيارات

يصلونها بالطائرات المروحـيــة أو على الدواب... فما لهؤلاء القوم مع ضلالهم يبذلون ما لم نتحمله نحن أبناء البلاد وأبـنــــاء المسلمين.... وهم قد أتَواْ من بلاد الترف والنعيم... لماذا هذه المفارقات أيها الأخوة الأعزاء.
ابن الإسلام لا يتحمل في سبيل دينه الحق إلا ساعات أو أيام قلائل... وابن الـضـلال يقيم الشهور والسنين ويخترق الغابات ويتسلق الجبال العاليات ويجتاز المخاطر ، كل ذلــك في سبيل الدعوة إلى ضلاله... لماذا هذه الفوارق؟ ألا يدل ذلك على خلل في المنهج التربـــوي لأمتنا المعاصرة؟ بلى والله إنه لبرهان عليه.
ولــو نهجنا منهج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في تربية أصحابه وما ساروا عليه في تربـيــة أتباعهم ومن بعدهم : أولئك الذين فـتـحـوا الدنيا آنذاك ، لو فعلنا ذلك لما سبقنا هؤلاء إلـى التضحية والبذل في سبيل باطلهم ، إن هذه هي رسالتكم يا حملة العلم والمعرفة ومسئوليتـكم تجاه أمتكم يا من نزل هذا الدين القويم بلغتكم وفي أرضكم... إنها مسئوليتكم بالدرجة الأولى ثم مسئولية كل فرد مسلم بأن تربوا الأمة الإسلامية على حمل هم الإسلام وجعله أهم شيء في الحياة إذا بصرتم الناس إلى هذا الواجب وأشعرتموهم بمسئوليتكم عن ذلك... فإن هذا كفيل بإذن الله بإعادة دور الأمة الإسلامية إلى مكانتها اللائقة بها... فهل أنتم فاعلون؟ إننا والله مقصرون نهتم لمأكلنا ومـشـربـنـا وراحتنا أكثر مما نهتم للإسلام بل الكثير منا لا يهمه إلا نفسه ولا يحمل للإسلام هماً ومــــن حمل منه شيئاً قارنه بمصلحته قبل الإقدام عليه ، نسأل الله العون والبصيرة لنا ولإخواننا في كل مكان.

أيها الأخوة الأعزاء :

مع ما ذكرناه أعلاه من واجبات ومسئوليات ومشاعر فإنـنـا نعترف بفـضـلكم سابقاً ولاحقاً ونقر بجهدكم ونقول إن لكم الباع الطويل في هذه الأعمال ونـتـائجـهــا تعلـيمـاً ودعوة فما وجدنا المدد المادي والمعنوي إلا من الله ثم من إخواننا العرب المسلمين.

الورقة الأخيرة

في تقويم الصحوة

د / صلاح الصاوي

للصحوة الإسلامية المعاصرة إيجابـيـاتهـا العديدة نذكر منها المحافظة على شمول الإسلام وتكامل فهمه في حس أجيالنا المعاصرة ، فـقـد أبقت في ذاكرة الأمة قضايا أساسية في دين الله كان يمكن أن تكون أثراً بعد عين ، كقـضـيـــة تحكيم الشريعة. ومنها الانتقال بمنهج التعامل مع القرآن الكريم من مجرد التعبد بسـمـاعه وتلاوته والاستمتاع الفني بدراسته إلى ما كان عليه

سلفنا الصالح من الاتباع لأمره ونهيه والتقيـد بتحليله وتحريمه كما روي عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قولها : كنا نقرأ الآيـــة مــــن القرآن فنحل حلالها ونحرم حرامها ونتأدب بآدابها لا نتجاوز إلى الآية التي بعدها حـتـى نـفـعــل بهــا ذلك فتعلمنا العلم والعمل جميعاً ، ولقد كاد خصوم الإسلام في هذا العصر أن يحيلوا الـكـتــاب الـكـريـم إلى أثر تاريخي مقدس يتلى على سبيل البركة ولا علاقة له بالحياة ولا بالأحياء فجاءت هذه الصحوة المباركة لترد الأمة إلى كتابها باعتباره المصدر الأعلى للوحي المعصوم الذي أنزله الله ليكون الحجة القاطعة والحكم الأعلى بين العباد.
ومنها: تجـديــد الـديـن بإحياء كثير من السنن وإماتة كثير من البدع ، وإزالة الغربة عن كثير مما هجر الناس مــــن شـعـائر الإسلام وشرائعه من كان يظن أن حجاب المرأة المسلمة سيبعث مرة أخرى في جامعاتنا الـمعاصرة التي دار معظمها في فلك التغريب بعد أن حرص خصوم الإسلام على إماتته والتشنيع علـيـه أكثر من نصف قرن؟؟! إنه القدر الأعلى الذي لا يقف في وجهه أحد!
وللصحوة الإسلامية سلبياتها المتعددة كذلك ، نذكــر منها : تفرق كلمتها وفساد ذات بين أفرادها في بعض الأحيان.. وهو أمر جد خطير لأن مـآلـه في منطق السنن الكونية إلى الفشل وذهاب الريح ، قال تعالى :((ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)) ومنها : عدم ترتيب الأولويات في بعض الأحيان ، فقد تهمش أموراً أساسـيـة وقد تغلوا في أمور جانبية ، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم ، ومنها غياب فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد أو ضعفه وهو عمدة الفقه وأساس التعامل في واقع الفتن وغربة الدين..
إن العمل الإسلامي المعاصر يعيش في واقع لا تكاد تتـمـحـــض فيه المصالح والمفاسد ، إنما تتلاقى وتتزاحم في مناط واحد وعند حدوث هذا التلازم يقـع الاشتباه ويحدث الالتباس ، ولا مناص في مثل هذه الحالة من الاجتهاد لتحقيق خير الخيـرين ودفع شر الشرين ، لأن مبنى الشريعة كما قال أهل العلم تحصيل المصالح وتكميلها وتـعـطــيل المفاسد وتقليلها.. إن هذه الموازنة وهذا النوع من الفقه هو عمدة التعامل في هذه المرحلة، ومــن لـم يـسـتـوعـــب أبـــعــــاده أعـيــــاه الأمر وعطل كثيراً من المصالح الشرعية ، وربما يفضي ببعض الناس إلى الـتـحـلـل وخــلـع الـربـقـة بالكلية ، إن ذلك في الحقيقة يمثل معقد التفرقة بين التطرف والاعتدال أو بين القصد والغلو.

تمت بعون الله والحمد لله
